

# الملاك لير

كامل كيلاني



الْمَلِكِ لِيَزُ



# المَلِكُ لِيَزُ

تأليف  
كامل كيلاني



هنداوي

رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٦٨٣٢

تدمك: ٢٠٢٨ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

### مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ + ٢٠٢ فاكس: ٣٥٣٦٥٨٥٣ + ٢٠٢

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: ورود الصاوي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

# المحتويات

٧

٩

١٧

٢٥

٣٣

٤٥

تمهيد

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس



## تمهيد

### (١) قِصَّةُ عَجُوزٍ

كَانَتْ مَمْلُكَةً «إِنْجِلْتَرَةَ» — حِينَ وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ — تَمُرُّ بِأَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ (مَصَائِبَ)، لَا عَهْدَ لَهَا بِأَمْثَالِهَا مِنْ قَبْلُ. وَإِلَيْكَ مَا تَقْصُهُ عَجُوزٌ نَيِّفَتْ (زَادَتْ) عَلَى خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنَ السَّنِينَ. قَالَتِ الْعَجُوزُ: «لَقَدْ عَشْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا. وَرَأَيْتُ فِي طُفُولَتِي — مِنْ الْكَوَارِثِ وَالْمَحَنِ — مَا لَمْ يَخْطُرْ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ. وَلَا زِلْتُ أذْكَرُ تِلْكَ الْعَوَاصِفَ الْهُوجَ حِينَ أَكْتَسَحَتِ الْغَابَاتِ، ثُمَّ أَعْقَبَهَا فَيَضَانُ الْأَنْهَارِ؛ فَأَغْرَقَ مِنَ الْبِلَادِ مَا أَغْرَقَ، وَأَهْلَكَ مِنَ الْحَرْثِ (الزَّرْعِ) وَالنَّسْلِ (الْأَوْلَادِ) مَا أَهْلَكَ! لَا أَزَالُ أذْكَرُ — إِلَى الْيَوْمِ — ذَلِكَ الْعَهْدَ الَّذِي شَهِدْتَهُ فِي طُفُولَتِي، وَأَتَمَثَّلُ (أَتَصَوَّرُ) حَوَادِثَهُ الْبَعِيدَةَ، كَأَنَّمَا وَقَعَتْ أَمْسٍ. وَلَكِنَّ مَا حَدَثَ فِي هَذَا الْعَامِ، قَدْ مَحَا — أَوْ كَادَ — كُلَّ مَا اسْتَعْظَمْتُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَةِ. وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْمَصَائِبُ الَّتِي حَلَّتْ بِبِلَادِنَا — فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْبَعِيدِ — إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا تَفْهَمُ (لَا قِيَمَةَ لَهُ)، إِذَا قَيْسَتْ بِمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْعَامِ. فَقَدْ تَأَلَّبْتُ (تَجَمَّعْتُ) قُوَى الشَّرِّ، وَأَجْتَمَعَتِ الْكَوَارِثُ، وَتَتَابَعَتِ الْأَحْدَاثُ، وَتَفَنَّنَتِ الْأَبَالِسَةُ وَالشَّيَاطِينُ فِي إِغْرَاءِ النَّاسِ بِضُرُوبٍ (أَصْنَافٍ) مِنَ الظُّلْمِ وَالْقَسْوَةِ وَالْأَنَانِيَةِ (حُبِّ الدَّاتِ)، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الشَّرِّ، وَأَفَانِينَ الشَّقَاءِ (أَنْوَاعِ الشَّدَّةِ وَالْعُسْرِ). وَفِي شِمَالِ «إِنْجِلْتَرَةَ» طَغَتْ أَمْوَاهُ الْبُحَيْرَاتِ، وَأَغْرَقَتْ مِنَ السُّكَّانِ وَالْمَسَاكِينِ آفَافًا. ثُمَّ جَاءَ الشَّتَاءُ؛ فَخَرَجَتِ الذَّنَابُ وَأَصْنَافُ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ مِنْ مَكَامِنِهَا، وَالْتَهَمَتِ الْأَغْنَامَ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ، دُونَ أَنْ تُبَالِي كَائِنًا كَانَ. وَعَاشَتْ الْخَنَازِيرُ الْبَرِّيَّةُ فِي أَرْقَةِ الْقُرَى؛ فَلَمَلَّتِ الْقُلُوبَ دُعْرًا (حَوْفًا)، وَقَسَتْ قُلُوبَ النَّاسِ، وَنَمَتِ



بَيْنَهُمْ بُدُورُ الشَّقَاقِ وَالتَّفْرِقَةِ، وَحَلَّ الْخِصَامُ مَحَلَّ الْوِثَامِ (الْوَفَاقِ). وَسَرَى الْخُلْفُ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ، ثُمَّ أَنْتَقَلَتْ عَدَاوُهُ إِلَى الْأَطْفَالِ؛ فَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ جَحِيمًا لَا يُطَاقُ.»

## (٢) مَهْرَجَانُ الْمَلِكِ

هَذَا بَعْضُ مَا قَصَّتْهُ عَجُوزُ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَرَأَتْهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ. وَقَدْ تَوَخَّيْتُ (تَعَمَّدْتُ) أَنْ أُثْبِتَهُ لَكُمْ — أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْرَاءُ — لَتَعْرِفُوا مَتَى وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ؟ وَفِي أَيِّ عَهْدٍ — مِنْ عُهُودِ الْأَضْطِرَابِ — مُثِّلَتْ فُصُولُهَا الْمُحْزِنَةُ؟

وَكَانَ بَدْءُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمَفْرَعَةِ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ الَّذِي أَقَامَهُ الْمَلِكُ «لَيْرٍ» فِي قَصْرِهِ الْكَبِيرِ، مُنْذُ أَلْفِي عَامٍ.

وَقَدْ أَعْتَزَمَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْسِمَ مُلْكَهُ الْعَظِيمَ بَيْنَ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ، وَيَرْفَعَ عَنْ كَاهِلِهِ أَعْبَاءَ الْمَلِكِ (أَثْقَالَ الْحُكْمِ)، وَيُرِيحَ شَيْخُوخَتَهُ، وَيَقْضِيَ أَيَّامَهُ الْأَخِيرَةَ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ، وَادِعَ الْخَلْدَ (مُسْتَرِيحَ الْقَلْبِ)، نَاعِمَ الْبَالِ.

وَكَانَتِ الْأَنْوَارُ سَاطِعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ، تَنْعَكِسُ أَضْوَاؤُهَا الْبَهِيجَةَ عَلَى أَعْمَدَةِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيَّةِ، وَتَصَاوِيرِهِ الْمُبْدَعَةِ الْفَنِّيَّةِ. وَهِيَ تُثَمِّلُ أَنْتِصَارَ الْمَلِكِ «لَيْرٍ» عَلَى أَعْدَائِهِ، فِي زَمَنِ صِبَاهُ.

وَكَانَ الْمُتَأَمِّلُ لَا يَمَلِكُ نَفْسَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسْفِ، كُلَّمَا وَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى هَذَا الْفَتَى الْقَوِيِّ «لَيْرٍ»، الْجَرِيءِ الْبَاطِشِ (الْأَخِذِ بَعْنَفٍ)، الَّذِي تُثَمِّلُهُ تِلْكَ التَّصَاوِيرُ الْمُعْجِبَةُ، وَقَابَلَهَا بِهَذَا الشَّيْخِ «لَيْرٍ»، الْأَمَائِلِ (الْوَاقِفِ) فِي الْحَقْلِ، وَقَدْ جَلَّلَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ، وَقَوَّسَتْ قَنَاتُهُ السَّنُونَ (حَنَتِ الْأَعْوَامُ ظَهْرَهُ)؛ فَانْتَضَمَتِ الرَّعْشَةُ يَدَيْهِ النَّاجِلَتَيْنِ، وَأَصْبَحَ يَمْشِي إِلَى الْفَنَاءِ (الْمَوْتِ)، بِخُطُواتٍ سَرِيعَةٍ.

وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ حَاشِيَةُ الْمَلِكِ وَقُوَادُهُ وَسَرَاةُ الْبِلَادِ (رُؤْسَاؤُهَا)، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ: «كَنْتُ»، وَنَدِيْمُهُ (صَاحِبُهُ) الْمُخْتَارُ: «بُهْلُولُ».

## الفصل الأول

### (١) عَهْدُ الشَّيْخُوخَةِ

تَبَدُّأُ هَذِهِ الْقِصَّةِ حِينَ بَلَغَ الْمَلِكُ «لِير» الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ، وَأَصْبَحَ شَيْخًا يَجْمَعُ — إِلَى ضَعْفِ الْجِسْمِ — خَطَلَ الرَّأْيِ (فَسَادَ التَّفْكَيرِ)، وَسُوءَ التَّدْبِيرِ.

وكان الشَّيْخُ «لِير» — فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سِنِيهِ — شَدِيدَ السَّامَةِ وَالضَّجْرِ.

وقد زَهَّدَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَبَاهِجِ الْحَيَاةِ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّةٍ (رَغْبَةٍ) يَرْجُوها، وَيَأْنَسُ بِها فِي الْحَيَاةِ إِلَّا بَنَاتَهُ الثَّلَاثُ.

وكان الْمَلِكُ «لِير» يُحِبُّ هُوَلاءِ الْبَنَاتِ حُبًّا شَدِيدًا، وَلَا يُطِيقُ الصَّبْرَ عَلَى بَعَادِهِنَّ.

### (٢) بَنَاتُ الْمَلِكِ «لِير»

وكانت فتاتان — مِنْ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ — قَدْ زُوِّجَتَا أَمِيرَيْنِ. أَمَّا الثَّلَاثَةُ — وَهِيَ صُغْرَاهُنَّ — فَقَدْ جَاءَ الْآنَ مَلِكُ «فَرَنْسَا» وَأَحَدُ أُمْرَاءِ «إِنْجَلْتِرَة»، وَنَزَلَا ضَيْفَيْنِ عَلَى الْمَلِكِ «لِير» وَأَقَامَا فِي قَصْرِه، وَكَانَ كِلَاهُمَا رَاغِبًا فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ «كُرْدِلِيَا»: صُغْرَى بَنَاتِهِ. وَأَمَرَ الْمَلِكُ «لِير» بِاسْتِدْعَاءِ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ، وَقَالَ لَهُنَّ: «لَقَدْ عَنَّ لِي — يَا بَنَاتِي الْعَزِيزَاتِ — أَنْ أَقْسِمَ مُلْكِي بِبَيْنِكُنَّ. وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُنْعَرَفَ — قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ — مَدَى (مُنْتَهَى) حُبِّكُنَّ إِيَّايَ، لِأَرَى رَأْيِي.»

(٣) حَدِيثُ «جُنْرِيلٍ»

فَتَقَدَّمَتْ كُبْرَى بِنَاتِهِ، واسمها «جُنْرِيلُ»؛ وكانت — على الحقيقة — امرأةً سوءَ خَبِيثَةٍ، تَجْمَعُ — إلى رِيائِهَا النَّادِرِ — لُؤْمًا وَخُبْنًا عَظِيمَيْنِ. ولم تكن تُضْمِرُ لِأَبِيهَا شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ، وَلَكِنَّهَا رَأَتْ أَمَامَهَا فُرْصَةً سَانِحَةً لِتَمْلِيْقِهِ (مُخَادَعَتِهِ) وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ، طَمَعًا فِي الْمِيرَاثِ الَّذِي لَوْحَ (أَشَارَ) لَهَا بِهِ.

فَقَالَتْ لَهُ، وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ وَالْحُنُوِّ: «إِنَّ حُبِّيكَ (مَحَبَّتِي لَكَ) — يَا أَبِي — لِأَجَلٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُعْبَرَ عَنْهُ الْأَلْفَاظُ. كَيْفَ لَا، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ إِنْسَانٍ عَيْنِي (سَوَادِيهَا وَحَدَقْتُهَا)، وَأَتَمُّ لَدَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَحُرِّيَّتِي وَجَمَالِي، وَصِحَّتِي!»  
فابتهج المَلِكُ «لَيْرِ» بِسَمَاعِ هَذَا الثَّنَاءِ الرَّائِبِ (الْمَغْشُوشِ)، وَقَالَ لَهَا مَسْرُورًا: «مَا دُمْتَ تُحِبِّينَنِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ، فَإِنِّي جَدِيرٌ بِأَنْ أَمْنَحَكَ ثَلْثَ مُلْكِي. فَأَنْتِ — فِيمَا أَرَى — حَقِيقَةٌ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ.»

(٤) حَدِيثُ «رِيْجَانَ»

ثُمَّ التفت إلى بِنْتِهِ الْوُسْطَى قَائِلًا: «إِلَى أَيِّ حَدِّ بَلَغْتَ مَحَبَّتِكَ أَبَاكَ، يَا رِيْجَانَ؟»  
فَقَالَتْ لَهُ مُرَائِيَّةً مُتَوَدِّدَةً (مُظْهِرَةً مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ خِلَافَ مَا هِيَ عَلَيْهِ): «إِنِّي أُحِبُّكَ — يَا أَبَتَاهُ — قَدْرَ مَا تُحِبُّكَ أُخْتِي «جُنْرِيلُ» إِنْ لَمْ أَرِدْ عَلَيْهَا؛ فَلَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كُلِّهَا شُغْلٌ يَشْغَلُنِي عَنْ ذِكْرِكَ، أَوْ يَحْوِلُنِي عَنْ حُبِّكَ، أَوْ يُنْسِينِي بَرِّكَ بِي. وَمَا أَذْكَرُ أَنْنِي غَفَلْتُ عَنِ التَّفَكُّيرِ فِيكَ — يَا أَبَتِ — لِحُظَّةٍ وَاحِدَةٍ.»

فَفَرِحَ الْمَلِكُ «لَيْرِ»، وَتَمَلَّكَ الرَّهْمُ وَالْإِعْجَابُ، وَتَطَلَّقَتْ أَسَارِيرُهُ (تَهَلَّلَ) وَانْفَرَجَتْ تَجَاعِيدُهُ (بَهَجَةً وَحُبُورًا بِمَا سَمِعَ، وَأَثْنَى عَلَى بِنْتِهِ «رِيْجَانَ» أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، وَشَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِخْلَاصَ النَّادِرَ، وَأَكْبَرَ فِيهَا وَفَاءَهَا الْعَجِيبَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «لِكِ مِنِّي — أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْبَارَةُ — ثَلْثُ مُلْكِي. فَاهْنَيْي بِهِ؛ فَأَنْتِ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ جَدِيرَةٌ.»  
وَأَكْبَرَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْحُنُوِّ، وَاشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِمَا سَمِعَ، وَشَكَرَ لِابْنَتِيهِ هَذَا الْحُبِّ النَّادِرِ، وَالْوَفَاءِ الْعَجِيبِ.

(٥) حديث «كُرْدَلِيَا»

ثُمَّ التَفَتَ الْمَلِكُ «لِير» إِلَى فَنَاتِهِ الصُّغْرَى: «كُرْدَلِيَا»، وَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ جَاءَ دَوْرُكَ — يَا نُورَ قَلْبِي — وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ حُبَّكَ إِيَّايَ أَعْظَمُ مِنْ حُبِّ أُخْتَيْكَ. وَقَدْ أَدَّخَرْتُ (اِحْتَفَظْتُ) لَكَ ثُلُثَ الْمُلْكِ، وَهُوَ أَحْصَبُ بُقْعَةٍ فِي مَمْلَكَتِي وَأَغْنَاهَا فَحَدَّثْتَنِي بِمِقْدَارِ مَا تُضْمِرِيَنَّهُ لِي (مَا تُخْفِيَنَّهُ فِي ضَمِيرِكَ) مِنْ حُبِّ وَوَلَاءٍ.»

فَقَالَتْ لَهُ «كُرْدَلِيَا»: «لَيْسَ لَدَيَّ مَا أُحَدِّثُكَ بِهِ، يَا أَبْتَاهُ!»

فَقَالَ لَهَا مَدْهُوشًا: «مَاذَا تَقُولِينَ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكَ مَا تُحَدِّثْتَنِي بِهِ؟»

فَقَالَتْ لَهُ «كُرْدَلِيَا»: «لَا شَيْءَ عِنْدِي، يَا أَبْتَاهُ.»

فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ «لِير»: «كَأَنَّكَ لَا تُحِبُّينَنِي، أَيُّهَا الْفَتَاةُ! أَعْيِدِي عَلَيَّ مِسْمَعِي جَوَابَكَ

الْأَخِيرَ.»

فَقَالَتْ «كُرْدَلِيَا»: «إِنِّي أُحِبُّ جَلَالَتَكَ بِمِقْدَارِ مَا يَحْتَمُهُ عَلَيَّ الْوَاجِبُ الْأَبْوِيُّ، لَا أَكْثَرَ،

وَلَا أَقَلَّ.»

(٦) نُبْلُ «كُرْدَلِيَا»

وَإِنَّمَا قَالَتْ «كُرْدَلِيَا» ذَلِكَ، وَلَمْ تَصْغُ لِأَبِيهَا عِبَارَاتِ الْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ الْخَلَابَةِ — كَمَا فَعَلَتْ أُخْتَاهَا مِنْ قَبْلُ — لِأَنَّهَا أَنْفَتَ (كَرِهَتْ) أَنْ تَسْأَلَ مَسَالِكَ الرِّيَاءِ، وَسَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ مُخَادَعَةً مُمْلَقَةً (تَقُولُ بِلِسَانِهَا مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا).

وَكَانَتْ عَلَيَّ يَقِينٍ مِنْ لَوْمِ أُخْتَيْهَا وَخُبِّ طَوِيَّتَيْهَا (نِيَّتَيْهَا)؛ فَاحْتَقَرَتْ مِنْهُمَا ذَلِكَ

الْثَّنَاءَ الرَّائِفَ، الَّذِي نَطَقَتْ بِهِ، لِتَحْدَعَا أَبَاهُمَا عَنْ حَقِيقَةِ نَفْسَيْهِمَا، رَغْبَةً فِي أَنْ تَظْفَرَا بِمُلْكِهِ الْعَظِيمِ.

وَكَانَتْ «كُرْدَلِيَا» عَارِفَةً أَنَّ أُخْتَيْهَا تَنْوِيَانِ الْغَدْرِ بِأَبِيهِمَا الشَّيْخِ، وَأَنَّهَا لَا تَمَحْضَانِهِ

الْوَدِّ (لَا تُضْمِرَانِ لَهُ صَادِقَ الْمَوَدَّةِ)، وَلَا تُؤَدِّيَانِ لَهُ شَيْئًا مِنْ وَاجِبَاتِ الْأَبُوءِ عَلَيْهِمَا، وَإِنْ

كَانَتْ قَدْ أَغْرَقَتْهُ بِعِبَارَاتِ الْمَدِيحِ وَالثَّنَاءِ الَّتِي لَا طَائِلَ تَحْتَهَا (لَا فَائِدَةَ مِنْهَا)، لِتَظْهَرَا

بِغَيْرِ مَخْبَرِهِمَا (بِاطْنِهِمَا) الْحَقِيقِيِّ.

ثُمَّ قَالَتْ «كُرْدَلِيَا» مُسْتَأْنِفَةً: «مَا أَنَا إِلَّا بِنُتْكَ.. وَقَدْ أَوْجَدْتَنِي مِنَ الْعَدَمِ، وَخَصَصْتَنِي

بِحُبِّكَ وَعَطْفِكَ. وَلَيْسَ لِي إِلَّا أَنْ أَقْدَرَ ذَلِكَ لَكَ؛ فَأَبَادِلُكَ حُبًّا بِحُبِّ، وَعَطْفًا بِرِعَايَةٍ. فَإِنَّ

وَأَجَبَ أَبُوتَكَ يَقْضِي عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ وَفِيَّ لَكَ، بَارَّةً بِكَ، وَأَنْ أُطِيعَ أَوْامِرَكَ، وَأُحِبَّكَ وَأُجَلِّكَ  
الإِجْلَالَ كُلَّهُ.»

## (٧) غَضَبُ «لِيرٍ»

كَانَ الْمَلِكُ «لِيرٍ» يُفْرِدُ (يَخْصُ) بِنْتَهُ الصَّغِيرَةَ «كُرْدَلِيَا» بِحُبِّ عَظِيمٍ، وَيُؤَثِّرُهَا (يُفَضِّلُهَا)  
عَلَى أُخْتَيْهَا الْكُبْرَى وَالْوُسْطَى، وَلَا يُطِيقُ فِرَاقَهَا. وَكَانَ يُرْهِفُ أُذُنَيْهِ لِسَمَاعِ آيَاتِ الإِعْجَابِ  
بِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَيَحْسَبُهَا مُتَفَنِّنَةً فِي صَوْغِ عِبَارَاتِ الْوَلَاءِ (الإِخْلَاصِ)، أَكْثَرَ مِنْ أُخْتَيْهَا.  
فَلَمَّا سَمِعَ مِنْهَا ذَلِكَ الْكَلَامَ الْفَاتِرَ، خَابَ أَمَلُهُ فِيهَا، وَامْتَلَأَتْ نَفْسُهُ سُخْطًا (غَضَبًا) عَلَيْهَا،  
وَتَبَرَّيْمًا (تَضَجَّرًا) بِهَا؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ حُبَّهَا إِيَّاهُ أَقَلُّ مِنْ حُبِّ أُخْتَيْهَا.

وَلَوْ عَرَفَ الْخُبْرَ (لَوْ عَلِمَ الْحَقِيقَةَ)، لِأَيَّقَنَ أَنَّ «كُرْدَلِيَا» أَخْلَصَ إِنْسَانٌ لَهُ، وَأَبْرَأُ ابْنَةٍ  
بِهِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَشَأْ أَنْ تَتَّجِرَ بِحُبِّهَا أَبَاهَا، كَمَا فَعَلَتْ أُخْتَاهَا.

وَلَوْ أَنَّ أَبَاهَا سَأَلَهَا مِثْلَ هَذَا السُّؤَالِ، فِي غَيْرِ هَذَا الْوَقْتِ، لِأَفْضَتْ إِلَيْهِ (صَرَّحَتْ لَهُ)  
بِمَا تَضَمَّرُ لَهُ مِنْ وِفَاءٍ وَبِرٍّ لَا مِثِيلَ لَهُمَا.

أَمَّا وَقَدْ سَأَلَهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي يَقْسِمُ فِيهِ مِيرَاثَهُ بَيْنَ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ، وَرَأَتْ مِنْ رِيَاءِ  
أُخْتَيْهَا مَا رَأَتْ؛ فَقَدْ سَمَتْ بِهَا عَزَّةً نَفْسَهَا، وَأَبَى لَهَا إِبَاؤُهَا وَسُمُوُّ أَخْلَاقِهَا أَنْ تُجَارِيَهُمَا  
فِي هَذَا التَّمْلِيقِ، وَتَنْدَفِعَ مَعَهُمَا فِي ذَلِكَ التَّلْفِيقِ.

أَمَّا أَبُوهَا «لِيرٍ» فَقَدْ أَنْسَتُهُ الشَّيْخُوخَةَ وَاجِبَاتِ الْحَزْمِ، وَدَفَعَهُ الْهَيْتْرُ (ضَعْفُ الْعَقْلِ)  
إِلَى سُوءِ الرَّأْيِ، وَخَطَلَ التَّقْدِيرَ (خَطَبَهُ)؛ فَلَمْ يَرَ فِي كَلَامِ «كُرْدَلِيَا» إِلَّا زَهْوًا وَكِبْرًا وَتَعَالِيًا  
وَعَطْرَسَةً. وَمَا هُوَ — مِنْ شَيْءٍ — مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي بِسَبِيلِ.

وَتَمَادَى (اسْتَمَرَّ) «لِيرٍ» فِي غَضَبِهِ، وَأَسْلَمَ لِسُخْطِهِ الْعِنَانَ (تَرَكَ لِغَضَبِهِ الزُّمَامَ)؛  
فَانْتَهَرَ «كُرْدَلِيَا» (زَجَرَهَا)، وَأَمَرَهَا بِالِاسْتِخْفَاءِ عَنْ نَاضِرِيهِ فِي الْحَالِ، ثُمَّ قَسَمَ الثَّلَاثَ  
الْبَاقِيَّ مِنْ مُلْكِهِ — الَّذِي كَانَ يَدَّخِرُهُ لَهَا — بَيْنَ أُخْتَيْهَا الْغَادِرَتَيْنِ.

(٨) مَهْرَجَانُ الْمَلِكِ

وَأَقَامَ الْمَلِكُ «لير» مَهْرَجَانًا عَظِيمًا، جَمَعَ فِيهِ سَرَاةَ الدَّوْلَةِ وَأَعْيَانَهَا، وَأَعْلَنَ أَمَامَهُمْ مَا قَرَّرَهُ وَاشْتَرَطَهُ. وَلَمْ يَحْتَفِظْ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَظَاهِرِ إِلَّا بَلَقِبَ الْمَلِكِ، وَبِمَاثَةِ فَارِسٍ يَكُونُونَ لَهُ حَاشِيَةً، عَلَى أَنْ يَنْزِلَ ضَيْفًا عَلَى إِحْدَى بِنْتَيْهِ شَهْرًا، ثُمَّ يَقْضِي الشَّهْرَ التَّالِيَّ فِي قَصْرِ التَّانِيَةِ، ثُمَّ يَقِيمُ - فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ - فِي قَصْرِ الْأُولَى، فَإِذَا جَاءَ الشَّهْرُ الرَّابِعُ عَادَ إِلَى الْأُخْرَى، وَهَكَذَا حَتَّى يَنْتَهِيَ أَجَلُهُ.



وَقَدْ عَجِبْتَ الْحَاشِيَةَ مِنْ هَذَا الْقَرَارِ وَدَهَشُوا لَهُ. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَجْرُوا عَلَى مُخَالَفَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ كَائِنٌ كَانَ أَنْ يُعَارِضَ الْمَلِكَ فِي رَأْيِهِ، مَا خِلا وَزِيرَهُ الْحَكِيمَ الرَّاشِدَ «كَنت»، الَّذِي أَقْدَمَ عَلَى النَّصِيحِ لَهُ بِالْإِقْلَاعِ عَنْ فِكْرَتِهِ الْخَاطِئَةِ (تَرْكِهَا)؛ فَكَانَ نَصِيْبُهُ — عَلَى صِدْقِ نَصِيحَتِهِ — التَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ. فَلَمْ يَخْشَ الْوَزِيرُ النَّاصِحُ تَهْدِيدَ الشَّيْخِ «لَيْرٍ»، وَلَمْ يَخَفْ وَعِيدَهُ.

فَاغْتَاظَ الشَّيْخُ «لَيْرٍ»، وَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: «إِنَّ الْقَوْسَ مُحْضَرَةً، وَقَدْ أُعِدَّ فِيهَا السَّهْمُ. وَمَا هِيَ إِلَّا لِحِطَّةٍ حَتَّى يَنْطَلِقَ السَّهْمُ الْقَاتِلُ مِنْهَا. فَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ هَدَفًا لَهُ فَتَهْلِكَ.»  
ثُمَّ أَنْشَدَ، يُبْدِرُهُ وَيَتَوَعَّدُهُ:

انْحَنَّتِ الْقَوْسُ، وَكَادَتْ تَرْمِي  
وَفُوقَ السَّهْمِ، وَكَادَ يُصْمِي  
فَلَا أَجِدُكَ هَدَفًا لِسَهْمِي

فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ الشَّجَاعُ: «إِذَا انْدَفَعَ سَهْمُ الْمَوْتِ إِلَى قَلْبِي فَمَرْقَهُ، فَإِنِّي لَا أَخْشَى شَيْئًا. وَلِنَفْعَلُ بِي أَقْدَارُ الدَّهْرِ وَأَحْوَالُ الزَّمَنِ مَا تَشَاءُ.»  
ثُمَّ أَنْشَدَ:

إِنْ يَنْطَلِقُ سَهْمُ الرَّدَى، مِنَ الْوَتْرِ  
إِلَى فُؤَادِي مُصْمِيًا، فَيَنْفَطِرُ  
فَلَسْتُ هَيَّابًا تَصَارِيْفَ الْقَدَرِ

فصاح فيه الشَّيْخُ «لَيْرٍ»: «وَيْلَكَ أَيُّهَا الْغَيْبِيُّ. أَلَا تَقْلَعُ عَن لَجَابَتِكَ وَعِنَارِكَ؟» فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ مَحْرُونًا يُحَدِّثُهُ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ، وَيُظْهِرُهُ عَلَى هَوْلٍ مَا يَعْتَزِمُ إِنْفَاذَهُ: «إِنَّكَ تَرْمِي نَفْسَكَ فِي حُفْرَةِ الظُّلْمِ وَالْإِعْتِدَاءِ.. فَعَلَى مَهْلِكِ. إِنَّ مَا تَفَعَّلَهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ، وَإِنَّ الظُّلْمَ آخِرَتُهُ سَيِّئَةٌ، وَخَطَرُهُ جَسِيمٌ.» ثُمَّ أَنْشَدَ:

فِي وَهْدَةِ الْبَغْيِ أَرَاكَ تَنْحَدِرُ  
فَلَا تُسَارِعْ، إِنَّهَا إِحْدَى الْكُبْرِ

إِنَّ طَرِيقَ الْبَغْيِ مَخْشِي الْخَطَرِ

فاشتدَّ غضبُ الْمَلِكِ وَسُخْطُهُ على وزيره، وأمر بطرده ونفيه من المدينة، وتوعده بالقتل إذا بقي في مملكته بعد اليوم.

فقال الوزير: «إِنِّي أَخْلَصْتُ لَكَ فِي نَصِيحَتِي؛ فَلْتَتَّعِظْ بِمَا أَقُولُ. وَالنُّصْحُ أَثْمَنُ مَا يُحْفَظُ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْوَفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَّةِ وَحَوَادِثِ الزَّمَنِ.» ثمَّ أُنْشِدَ:

مَحَضَّتْكَ النُّصْحُ؛ فَحَازِرٌ، وَاعْتَبِرْ  
وَاعْلَمْ بَأَنَّ النُّصْحَ أَعْلَى مُدَحَّرٌ  
مِنْ صَادِقِ الْوُدِّ، إِذَا الدَّهْرُ غَدَرَ

ثمَّ خرجَ مَحْزُونًا مَقْهُورًا، وقد أدركَ أَنَّ آخِرَةَ مَلِكِهِ قد قُرِبَتْ، وَأَنَّ مَصْرَعَهُ وَشِكِّهِ هَلَاكُهُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ).

(٩) وَدَاعُ «كُرْدِلِيَا»

قُلْنَا — أَنْفًا — إِنَّ خَاطِبَيْنِ قَدْ جَاءَا يَرِغْبَانِ فِي الزَّوْاجِ بِالْأَمِيرَةِ «كُرْدِلِيَا»، وَهُمَا مَلِكٌ «فَرَنْسَا»، وَأَحَدُ أَمْرَاءِ «إِنْجِلْتِرَةَ».

فَأَمَّا الْأَمِيرُ الْإِنْجِلِيزِيُّ، فَقَدْ كَفَّ (امتنع) عَنِ طَلْبِ الزَّوْاجِ بِالْأَمِيرَةِ «كُرْدِلِيَا»، بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ حَقَّهَا فِي مِيرَاثِ أَبِيهَا.

وَهُنَالِكَ تَوَجَّهَ مَلِكُ «فَرَنْسَا» إِلَى الْأَمِيرَةِ «كُرْدِلِيَا»، وَأَصَرَ (عَزَمَ) عَلَى الزَّوْاجِ بِهَا، بَعْدَ أَنْ حَذَلَهَا أَبُوهَا وَخَطَبِيهَا الْآخَرَ.

وَقَدْ أُعْجِبَ مَلِكُ «فَرَنْسَا» بِصِرَاحَةِ «كُرْدِلِيَا»، وَأَكْبَرَ فِيهَا الْعِزَّةَ الَّتِي أَظْهَرَتْهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، إِذْ رَضِيَتْ بِالنُّزُولِ عَنْ نَصِيبِهَا فِي الْمَلِكِ، وَرَأَتْ أَنَّ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا فَقِيرَةً مُعْدِمَةً (لَا تَمْلِكُ شَيْئًا)، مُؤْتِرَةً (مُفْضَلَةً) ذَلِكَ عَلَى أَنْ تَتَّجَرَ بِحُبِّ أَبِيهَا، وَتَتَّخِذَهُ سُلْمًا إِلَى مُشَارَكَةِ أُخْتَيْهَا فِي الْمِيرَاثِ.

وَبَعْدَ زَمَنِ قَاصِرٍ رَأَى مَلِكُ «فَرَنْسَا» أَنَّ يَعُودَ بِزَوْجَتِهِ «كُرْدِلِيَا» إِلَى وَطَنِهَا، فَاسْتَأْذَنَتْهُ فِي وَدَاعِ أُخْتَيْهَا. وَقَدْ فَارَقَتْهُمَا دَامِعَةُ الْعَيْنِ، مَحْزُونَةٌ الْقَلْبِ، وَأَوْصَتْهُمَا خَيْرًا بِأَبِيهِمَا.





فَأَغْلَطْنَا لَهَا الْقَوْلَ، وَخَاشَتْنَاهَا فِي الْحَدِيثِ (اشْتَدَّتْ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَيْهَا فِي الْكَلَامِ)، وَقَالَتَا لَهَا سَاخِرَتَيْنِ: «لَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى تَوْصِيَّتِكَ؛ فَلَسْتِ بِأَبْرَ مِنْ كِلْتَيْنَا بِهِ، وَمَا هُوَ بِأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ عَلَيْنَا.»

أَمَّا أَبُوهَا الْمَلِكُ «لَيْرٍ»، فَقَدْ قَالَ لِزَوْجِهَا غَاظِبًا: «أَذْهَبُ بِهَا إِلَى حَيْثُ شِئْتِ؛ فَمَا أُطِيقُ رُؤْيَا وَجْهَهَا بَعْدَ الْآنِ.»

فَقَالَ لَهُ مَلِكُ «فَرَنْسَا»: «لِيَكُنْ مَا تَشَاءُ، فَوَدَاعًا.»

ثُمَّ سَافَرَتْ «كُرْدَلِيَا» — صُغْرَى بَنَاتِ الشَّيْخِ «لَيْرٍ» — مَعَ زَوْجِهَا مَلِكِ «فَرَنْسَا» إِلَى وَطَنِهِ، حَيْثُ اتَّخَذَتْهُ لَهَا مَقَامًا (مَكَانًا تَقِيمُ فِيهِ) بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

## الفصل الثاني

### (١) في قصر «جُنرَيْلَ»

هَدَأَتْ ثَائِرَةَ الْمَلِكِ «لَيْرٍ»، بَعْدَ أَنْ أَقْصَى (أَبْعَدَ) بِنْتَهُ الْمَخْلِصَةَ الْوَفِيَّةَ «كُرْدَلِيَا» عَنِ مَمْلَكَتِهِ، وَهُوَ يَحْسَبُهَا مِثَالَ الْعُقُوقِ (عَدَمَ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ نَحْوَ أَبِيهَا) وَالغَدْرِ وَالْكَبْرِيَاءِ. وَذَهَبَ الْمَلِكُ عَلَى الْفُورِ إِلَى قَصْرِ بِنْتِهِ «جُنْرَيْلَ». وَلَكِنَّهُ مَا عَتَمَ (مَا لَبَثَ) أَنْ أَدْرَكَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَ الرِّيَاءُ وَالنَّفَاقُ يَسْتُرَانِهَا عَنْ نَاطِرِيهِ، وَيَحْجُبَانِهَا عَنْ عَيْنِيهِ. وَعَرَفَ أَنَّ الْأَلْفَاظَ الْمَعْسُولَةَ، وَالْمَدَائِحَ الْمُنْمَقَةَ (الْمُرْخَرَفَةَ) الزَّائِفَةَ، لَا تُغْنِي عَنِ الْحَقِّ شَيْئًا.

لَقَدْ تَمَلَّكَتِ الْبِلَادَ — بَعْدَ أَبِيهَا — وَظَفَرَتْ (فَارَزَتْ) بِكُلِّ مَا مَنَحَهَا إِيَّاهُ مِنْ سُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ، وَاسْتَتَبَّ (اسْتَقَرَّ) لَهَا الْمُلْكُ؛ فَكَانَ أَوَّلَ هَمِّهَا أَنْ تَتَنَكَّرَ (تَتَغَيَّرَ) لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا، وَتَجَرِيهَ عَلَى صَنِيعِ الْمَشْكُورِ أَقْبَحَ جَزَاءٍ، وَتَكَافَيْتُهُ إِسَاءَةً بِإِحْسَانٍ، وَعُقُوقًا بِبِرٍّ، وَعَدْرًا بِوَفَاءٍ.

### (٢) حُبْتُ «جُنْرَيْلَ»

وَرَأَتْ «جُنْرَيْلَ» أَنَّ أَبَاهَا قَدْ أَصْبَحَ — بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ — مُمَلًّا ثَقِيلًا لَا يُطَاقُ، وَأُسْتُكْثِرَتْ عَلَيْهِ مَائَةُ الْفَارِسِ الَّذِينَ أُسْتَبْقَاهُمْ لِنَفْسِهِ، لِئِرْفَاقُوهُ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ (فِي إِقَامَتِهِ وَسَفَرِهِ). وَأَصْبَحَتْ «جُنْرَيْلَ» تَلْقَى أَبَاهَا — كُلَّمَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَيْهِ — بِوَجْهِ عَبُوسٍ، وَتَقَطَّبَ حَاجِبَيْهَا (تَعَبَسَ) كُلَّمَا نَادَاهَا، وَلَا تُكَلِّبِي (لَا تُجِيبِي) لَهُ رَجَاءً، وَلَا تُنْفِذْ لَهُ مَشِيئَةً.

واقْتَدَى بِهَا خَدْمَهَا فِي مُعَامَلَةِ هَذَا الشَّيْخِ؛ فَأَصْبَحُوا لَا يُلْبُونُ لَهُ أَمْرًا، وَلَا يُعَامِلُونَهُ بِغَيْرِ الإِهْمَالِ وَالِإِحْتِقَارِ وَقِلَّةِ الْاِكْتِرَاتِ.

### (٣) وفاء الوَازِرِ

أَمَّا الوَازِرُ الوَاقِي «كُنْتُ»، الَّذِي طَرَدَهُ الشَّيْخُ «لير» مُكَافَأَةً لَهُ عَلَى صِدْقِ وَفَائِهِ، وَأَمَرَ بِنَفْيِهِ مِنْ مَدِينَتِهِ، فَقَدَ أَبِي عَلَيْهِ إِخْلَاصَهُ لِمَلِيكِهِ أَنْ يَتْرُكُهُ نَهَبَ الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ (تَنْهَيْهُ وَتَفْتَرِسُهُ)، وَنَهْزَةَ الْخَطُوبِ وَالْكَوَارِثِ (فُرْصَةً لِلْبَلَايَا وَالنَّكَبَاتِ). فَلَمْ يَخْرُجْ مِنَ الْمَدِينَةِ؛ وَلَكِنَّهُ غَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ، وَبَدَّلَ مِنْ شَكْلِهِ، وَتَزَيَّا بِزِيِّ الْخَدَمِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَلِيكِهِ خَادِمًا أَمِينًا، يَرْعَاهُ وَيَحْرُسُهُ، وَيَرْقُبُهُ عَنْ كَثْبٍ (عَنْ قُرْبٍ).

وَرَضِيَ الْمَلِكُ «لير» بِهَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ. وَلَمْ يَنْقُضْ عَلَى عَوْدَتِهِ إِلَى مَلِيكِهِ يَوْمَ كَامِلٍ، حَتَّى رَأَى خَادِمًا مِنْ خَدَمِ «جُنْرِيل» يُجَادِلُ الْمَلِكَ «لير»، وَيَسْتَهِينُ بِهِ، لِيُرْضِيَ بِذَلِكَ سَيِّدَتَهُ «جُنْرِيل».

فَغَضِبَ الْوَازِرُ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ وَقَاةَ ذَلِكَ الْخَادِمِ الْجَرِيءِ، وَثَارَتْ ثَائِرَتُهُ (غَضَبَ) عَلَيْهِ: فَصَفَعَهُ (ضَرَبَهُ) صَفْعَةً كَادَتْ تَذْهَلُهُ (تَذْهَبُ عَقْلَهُ) وَتُرْذِيهِ (تُهْلِكُهُ)، جَزَاءً لَهُ عَلَى سَفَاهَتِهِ وَتَطَاوُلِهِ عَلَى سَيِّدِهِ. فَابْتَهَجَ الْمَلِكُ «لير» بِوَفَائِهِ هَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ وَإِخْلَاصِهِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ وَزِيرُهُ النَّاصِحُ «كُنْتُ»، الَّذِي لَمْ يَأَلْ (لَمْ يُبْقِ) جُهْدًا فِي تَحْذِيرِهِ عَوَاقِبِ التَّسَرُّعِ وَالْبَغْيِ.

### (٤) «الْبُهْلُولُ»

وَلَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ «لير»، بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْهُ سُلْطَانُهُ، وَدَالَتْ دَوْلَتُهُ (انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ). وَلَمْ يَبْقَ إِلَى جَانِبِهِ — بَعْدَ وَزِيرِهِ الْأَمِينِ — غَيْرُ نَدِيمِهِ الَّذِي كَانَ يُلْقِبُهُ مَرَّةً بِالْبُهْلُولِ؛ لِخَفَّتِهِ وَدُعَابَتِهِ (ظَرْفِهِ وَفُكَاهَتِهِ)، كَمَا يُلْقِبُهُ — مَرَّةً أُخْرَى — بِالْمُجْنُونِ؛ لِمَا أَغْتَادَهُ مِنْ خَلْطِ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ وَالْمُجُونِ (عَدَمِ الْمُبَالَاةِ)، وَالْبَاسِ الْحَقِيقَةِ تَوْبَ الْبَاطِلِ. وَكَانَ «الْبُهْلُولُ» يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يَدْخُلَ السُّرُورَ وَالْبَهْجَةَ عَلَى نَفْسِ مَلِيكِهِ، وَيَتَفَنَّزَ فِي تَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ.



### (٥) ذَكَاءُ «الْبُهْلُولِ»

وَكَانَ «الْبُهْلُولُ» يُحَاوِلُ أَنْ يُبَصِّرَ «لَيْرَ» بِعَاقِبَةِ مَا فَعَلَ. وَقَدْ أَدْرَكَ — بِثَاقِبِ بَصَرِهِ (بِنَظَرِهِ النَّافِذِ) — مَا تُدَبِّرُهُ «جُنْرِيْلُ» لِأَبِيهَا مِنَ الْمَكَايِدِ، وَعَرَفَ أَنَّهَا تَوَدُّ جَاهِدَةً أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ.

وَقَدْ عَلِمَ «الْبُهْلُولُ» أَنَّ «جُنْرِيْلَ» لَنْ تَغْفِرَ لِأَبِيهَا وَخَادِمِهِ مَا لَقِيَهُ مِنْهُمَا خَادِمُهَا، وَهِيَ الَّتِي أَوْعَزَتْ (أَشَارَتْ) إِلَيْهِ — كَمَا أَسْلَفْنَا — بِأَنْ يَعْصِيَ أَمْرَ أَبِيهَا، وَلَا يُلَبِّيَ لَهُ طَلْبًا.

### (٦) قِصَّةُ الْعُضْفُورِ وَالْغُرَابِ

فَدَخَلَ «الْبُهْلُولُ» يُعْنِي مُدَاعِبًا (مُمَازِحًا) سَيِّدَهُ، مُتَوَحِّيًا (قَاصِدًا) أَنْ يُنْذِرَهُ بِالْكَارِثَةِ قُبَيْلَ وَقُوعِهَا؛ حَتَّى لَا يُفَاجَأَ بِهَا، وَكَانَ يُلْمَحُ لَهُ بِمَا يُرِيدُ، وَيَقُولُ: «أَخْبَرْتَنَا الْقِصَصُ الَّتِي نَقَلْتُمَا إِلَيْنَا الْعُصُورُ الْمَاضِيَةَ: أَنَّ عُضْفُورًا أَبْصَرَ غُرَابًا وَوَلِيدًا فِي عَشِيَّتِهِ، يَكَادُ يَهْلِكُ؛ فَفَرَّبَ مِنْهُ مَا يَبْعَثُ فِي جِسْمِهِ الدَّفْءَ، وَسَقَاهُ مَا يَشْفِيهِ. فَلَمَّا نَشَطَ الْغُرَابُ الصَّغِيرُ،

وَتَقَدَّمَتْ بِهِ الْإِيَّامُ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الشَّبَابِ، دَفَعَتْهُ نَفْسُهُ الشَّرِيرَةَ إِلَى أَنْ يَقْتُلَ الْعُصْفُورَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فَضْلًا، وَأَسَدَى إِلَيْهِ جَمِيلًا؛ وَذَلِكَ سُوءُ الْجَزَاءِ.»  
نُمَّ يُنْشِدُ:

قَدْ حَدَّثْتُنَا أَصْدُقَ الْأَمْثَالِ      فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ الْخَالِي  
بِقِصَّةِ تَرْوَى عَنِ الْعُصْفُورِ      أَبْصَرَ — فِي وَكْرٍ مِنَ الْوُكُورِ —  
فَرَحَ غُرَابٍ مُشْرِفًا عَلَى التَّلْفِ      فَقَالَ لِلْفَرَّخِ: اطْمَئِنَّ، لَا تَخَفْ  
وَأَدْفَأَ الْفَرَّخَ، وَدَاوَاهُ، وَلَمْ      يَزَلْ بِهِ، حَتَّى شَفَاهُ مِنَ أَلَمِ  
وَكَانَ عِنْدَهُ الْعَزِيزُ الْغَالِي      وَأَكْرَمَ الْأَبْنَاءِ وَالْعِيَالِ  
حَتَّى إِذَا الْفَرَّخُ عَدَا غُرَابًا      لَمْ يَرَ — غَيْرَ قَتْلِهِ — ثَوَابًا  
وَأَهْلَكَ الْغُرَابُ مَنْ رَبَّاهُ      جَزَاءَ مَا قَدَّمَ مِنْ حُسْنَاهُ

فَصِيحَ «لَيْرٍ» مُتَعَجِّبًا: «وَمَاذَا تَعْنِي بِهِذِهِ الْقِصَّةِ، يَا بُهْلُولُ؟»  
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا:

أَرَاكَ — يَا عَمَّ — فَعَلْتَ فِعْلَهُ      وَسَوْفَ تُجْزَى فِي الْحَيَاةِ مِثْلَهُ  
أَنْتَ شَبِيهُ ذَلِكَ الْعُصْفُورِ

فَصَرَخَ «لَيْرٍ» يَتَوَعَّدُهُ بِالْوَيْلِ (العذاب والهلاك)، إِذَا تَمَادَى فِي دُعَابَتِهِ (مُزَاحِهِ). فَقَالَ  
«الْبُهْلُولُ» ضَاحِكًا: «أَعْطَيْكَ — إِنْ كَذَّبْتَنِي — طُرْطُورِي!»

## (٧) حَاشِيَةُ الْمَلِكِ

وَمَا أَسْرَعَ مَا تَحَقَّقَتْ فِرَاسَةُ «الْبُهْلُولِ»؛ فَإِنَّ «جُنْرِيْلَ»: تِلْكَ الْبِنْتُ الْخَبِيثَةُ الْعَاقَّةُ (الَّتِي لَمْ تُرَاعِ حَقَّ الْأَبُوَّةِ)، لَمْ تَشَأْ أَنْ تَتْرَكَ أَبَاهَا يَقْضِي بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ وَإِدْعَا هَانئًا مُسْتَرِيحَ الْقَلْبِ، وَأَبَى عَلَيْهَا حُبْنُهَا وَلَوْمْ طَبَعَهَا إِلَّا أَنْ تُنْغَصَّ عَلَيْهِ عَيْشُهُ، وَتُكَدَّرَ عَلَيْهِ صَفْوُ حَيَاتِهِ. وَقَدْ اسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: «لَقَدْ مَلَأْتُ حَاشِيَتُكَ — لِكثْرَةِ عَدَدِهَا — قَصْرِي، وَأَصْبَحْتُ لَا أُطِيقُ جَلْبَتَهُمْ وَضَوْضَاءَهُمْ (أَصْوَاتُهُمْ الْعَالِيَةَ) بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ.»

وَأَرَاكَ جَدِيرًا أَنْ تَتَخَيَّرَ نُحْبَةً (خُلَاصَةً) قَلِيلَةً — عَلَى نَصِّ سِنِّكَ (فِي مِثْلِ عُمْرِكَ) —  
لِمُرَافَقَتِكَ، إِنْ شِئْتَ.»

### (٨) دَعْوَةٌ «لِيرِ»

فَغَضِبَ الْمَلِكُ «لِيرِ» مِمَّا قَالَتْهُ بِنْتُهُ، وَقَالَ لَهَا: «إِنَّ حَاشِيَتِي جَمِيعًا مِنْ خَيْرَةِ النَّاسِ أَدْبًا وَمَعْرِفَةً، وَلَيْسَ فِي أَسْتِطَاعَةِ أَحَدٍ أَنْ يَتَّهَمَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ التُّهْمَةِ الْكَاذِبَةِ.»  
ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْتِدْعَاءِ جِيَادِهِ (حَيْلِهِ) وَإِسْرَاجِهَا، مُعْتَزِمًا أَنْ يُعَادِرَ بِنْتَهُ عَلَى الْفَوْرِ،  
وَالْتَقَتَ إِلَيْهَا عَابِسًا، وَقَالَ: «لَمْ يَبْقَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَضِيرَ عَلَى هَذَا التَّجَنِّي (ادِّعَاءِ التُّهْمِ)،  
يَا «جُنْرِيْلُ». وَإِنِّي لِأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ رَزَقَنِي بِنْتًا أُخْرَى غَيْرِكَ، تُكْرِمُ وَفَادَتِي (قُدُومِي  
عَلَيْهَا)، وَتَقْدُرُ أَبُوْتِي لَهَا، وَتَعْرِفُ مِنْ حَقِّي عَلَيْهَا مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتِ، أَيَّتُهَا الْعَاقَةُ الْجَاحِدَةُ.»  
ثُمَّ دَعَا عَلَى بِنْتِهِ «جُنْرِيْلُ» أَنْ يُصِيبَهَا اللَّهُ بِالْعُقْمِ؛ فَلَا تَلِدْ مَدَى حَيَاتِهَا، أَوْ يَرِزُقَهَا  
بَشَرُّ الْأَبْنَاءِ؛ لِيَجْزِيَهَا مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ الْغَادِرِ، وَأَنْ تَمُوتَ شَرًّا مِيتَةً.

### (٩) دُعَابَةٌ «الْبُهْلُولُ»

وَحَشِيَّ «الْبُهْلُولُ» أَنْ يَطْعَى الْحُزْنَ عَلَى قَلْبِ «لِيرِ» فَيُهْلِكَهُ؛ فَجَرَى — عَلَى عَادَتِهِ — فِي  
مُدَاعِبَتِهِ (مُمَارَحَتِهِ)، وَرَاحَ يُغْنِيهِ مُنْشِدًا:

يَا لَيْتَ لِي — يَا عَمَّ — طُرْطُورَيْنِ! أُعْطِيكَ طُرْطُورًا مِنَ الْإِثْنَيْنِ  
وَأَجْعَلَ الْآخَرَ نُصْبَ عَيْنِي

فَقَالَ: «وَمَاذَا أَصْنَعُ بِطُرْطُورِكَ، يَا «بُهْلُولُ»؟ ضَعُفُهَا مَعًا نُصْبَ عَيْنِكَ (أَمَامَهَا)!»  
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا: «إِنَّ بِنْتِيكَ لَا تُعْطِيَانِكَ شَيْئًا لَوْ طَلَبْتَهُ، وَمَا أَحَقَّكَ بِأَنْ تُرَوِّيَ خَدْيِكَ  
(تَبَلُّهُمَا) بِدَمْعَتَيْنِ، جَزَاءَ خَطِيئِكَ فِي نَزْوِكَ لِهَمَا عَنِ الْمَلِكِ.» ثُمَّ أَنْشَدَهُ:

أُطْلِبُهُ — إِنْ شِئْتَ — مِنَ الْبِنْتَيْنِ! أَلَسْتَ أَسْكَنْتَهُمَا قَصْرَيْنِ؟  
أَلَسْتَ أَعْطَيْتَهُمَا تَاجَيْنِ؟ ثُمَّ وَهَبْتَ الْمَلِكَ زَيْبَتَيْنِ؟

فَالْيَوْمَ تَلْقَى أَوَّلَ النُّصَفَيْنِ      تَحْلِيكَ مِنْ بَيْتٍ مِنَ الْبَيْتَيْنِ  
 وَفِي غَدٍ تَشْقَى بِطَرْدَتَيْنِ      جَزَاءَ مَا أَخْطَأْتَ فِي حُكْمَيْنِ  
 إِنَّكَ قَدْ خُدِعْتَ خُدَعَتَيْنِ      فَرَوْ خَدَيْكَ بِدَمْعَتَيْنِ  
 وَابِكَ عَلَى نَفْسِكَ مَرَّتَيْنِ

فَقَالَ لَهُ «لَيْرٍ»: «مَا أَصَدَقَ مَا تَقُولُ، أَيُّهَا الْمَجْنُونُ الْعَاقِلُ! وَلَكِنْ فَاتَ وَقْتُ النَّدَمِ،  
 وَلَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ مَا فَاتَ. عَلَى أَنْ بِنْتِي الثَّانِيَةَ طَيِّبَةُ الْقَلْبِ، وَلَنْ تَدَّخِرَ (لَنْ تُبْقِيَ)  
 وَسَعًا فِي إِسْعَادِي، وَتَوْفِيرِ جَالِبَاتِ الْبُهْجَةِ (أَسْبَابِ السُّرُورِ) لِي. وَسَتَرِكَ الْإِيَّامُ صَدَقَ مَا  
 أَقُولُ.»

### (١٠) عِنْدَ «رِيحَانَ»

وَاعْتَزَمَ الْمَلِكُ «لَيْرٍ» أَنْ يَقْضِيَ بَقِيَّةَ عُمُرِهِ فِي قَصْرِ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ «رِيحَانَ»؛ فَبَعَثَ إِلَيْهَا  
 رَسُولَهُ الْوَزِيرَ «كَنْتُ»، بِكِتَابٍ يُنَبِّئُهَا (يُخْبِرُهَا) فِيهِ بِمَا اعْتَزَمَهُ وَقَرَّرَهُ، وَيَعِدُّهَا بِالذَّهَابِ  
 إِلَيْهَا بَعْدَ وَقْتٍ قَلِيلٍ.  
 وَلَمْ يَكِدِ الْوَزِيرُ «كَنْتُ» يَبْلُغُ قَصْرَ «رِيحَانَ»، وَيُقْضِي إِلَيْهَا (يُخْبِرُهَا) بِمَا لَقِيَهِ أَبُوهَا  
 الشَّيْخُ «لَيْرٍ» مِنْ عُقُوقٍ (إِنْكَارٍ لِحَقِّهِ)، حَتَّى جَاءَ رَسُولٌ مِنْ أُخْتِهَا «جُنْرِيلَ»، وَأَسْلَمَهَا  
 كِتَابَهَا الَّذِي بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْهَا، تَوْصِيهَا بِأَبِيهَا شَرًّا، وَتُوَعُّرُ صَدْرَهَا (تُثِيرُ غَضَبَهَا) عَلَيْهِ،  
 وَتُدَبِّرُ لَهَا حُطَّةً حَبِيثَةً لِلْخُلَاصِ مِنْهُ وَمِنْ أَتْبَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ.

### (١١) حَبْسُ الْوَزِيرِ

وَمَا أَتَمَّتْ «رِيحَانَ» كِتَابَ أُخْتِهَا قِرَاءَةً حَتَّى أَغْلَظَتْ الْقَوْلَ لِرَسُولِ أَبِيهَا. فَلَمَّا حَاوَلَ أَنْ  
 يُذَكِّرَهَا بِمَا لِأَبِيهَا عَلَيْهَا مِنْ فُرُوضٍ وَحُقُوقٍ، ثَارَتْ فِي وَجْهِهِ مُغْضَبَةٌ، وَأَمَرَتْ بِحَبْسِهِ فِي  
 سِجْنٍ مُظْلِمٍ، جَزَاءً لَهُ عَلَى جُرْأَتِهِ.

(١٢) مَقْدَمُ «لير»

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ قَدِمَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ «لير». وَمَا عَلِمَ أَنَّ رَسُولَهُ قَدْ سُجِنَ، وَأَنَّ بِنْتَهُ «رِيجَانَ» هِيَ الَّتِي أَمَرْتَ بِحَبْسِهِ، حَتَّى زَادَ هَيْجَاهُ، وَأَشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ «رِيجَانُ»: «خَفَّفْ مِنْ سُخْطِكَ — أَيُّهَا الْوَالِدُ الشَّيْخُ — فَمَا أَظُنُّ أَنَّ أُخْتِي قَدْ أَخْرَجْتِكَ مِنْ قَصْرِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ نَفَدَ صَبْرُهَا مِنْ لَجَاجَةِ أَتْبَاعِكَ (تَخَاصُمِهِمْ) وَصَخْبِهِمْ (صَيْحَاتِهِمْ)، وَضَاقَ ذَرْعُهَا (ضَجِرَتْ) بِمَا اقْتَرَفُوهُ (ارْتَكَبُوهُ) مِنْ شُرُورٍ وَأَثَامٍ. وَهِيَ — بِلَا شُكٍّ — فِي سَعَةِ مِنَ الْعُذْرِ، لِأَنَّ قُصُورَ الْمُلُوكِ جَدِيدَةٌ أَنْ تُنَزَّهَ (تُبْرَأَ) وَتُخَلَّصَ) مِنْ عَبَثِ الْعَابِثِينَ، وَلَهُوَ الْهَائِرِينَ (السَّاحِرِينَ فِي الْقَوْلِ)».

(١٣) حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ

لَمْ يَسْتَطِعْ «لير» أَنْ يُصَدِّقَ مَا سَمِعْتَهُ أَدْنَاهُ مِنْ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ، بَعْدَ مَا رَأَهُ مِنْ عُقُوقِ بِنْتِهِ الْأُولَى؛ فَخِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَالِمٌ، وَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى وَالْحُزْنِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي الْجَرَاحِ (شِدَّةِ الْحُزْنِ) فَائِدَةً؛ فَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ (لَجَأَ إِلَيْهِ) — مَا وَسَعَهُ حِلْمُهُ — وَقَالَ لِبِنْتِهِ، وَهُوَ يُغَالِبُ الدَّمَعَ جَاهِدًا: «مَا أَظُنُّ أَنَّكَ — مَهْمَا عَقَقْتَ أَبَاكَ — بِالْعَةِ بَعْضَ مَا بَلَغْتَهُ أُخْتُكَ مِنْ جُحُودٍ وَعُقُوقٍ!

وَإِنِّي لِإِخَالٍ أَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ بِأَبِيكَ، وَأَدْنَى إِلَى الْوَفَاءِ وَالْحُنُوقِ عَلَيْهِ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَيَّ شَيْخُوحَتِهِ. فَحَازِرِي أَنْ تَنْهَجِي نَهْجَ «جُنْرِيْلٍ» (تَتَّبِعِي طَرِيقَهَا)، فَتُخَيَّبِي تَأْمِيلَ أَبِيكَ، وَتَمْلِئِي قَلْبَهُ يَأْسًا؛ بَعْدَ أَنْ وَهَبَ إِلَيْكَ أَثْمَنَ مَا يَمْلِكُ، وَلَمْ يَصْنَنَّ (لَمْ يَبْحَلْ) عَلَيْكَ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ مِنْ مُلْكٍ وَجَاهٍ وَمَالٍ».

(١٤) مَقْدَمُ «جُنْرِيْلٍ»

وَمَا أَتَمَّ قَوْلَهُ، حَتَّى قَدِمَتْ بِنْتُهُ «جُنْرِيْلٍ»؛ فَانْضَمَّتْ إِلَى أُخْتِهَا «رِيجَانَ»، وَظَلَّتْ تُوَعِّرُ صَدْرَهَا عَلَى أَبِيهَا الشَّيْخِ؛ حَتَّى قَسَا عَلَيْهِ قَلْبُهَا مَرَّةً أُخْرَى، وَسَارَتْ مَعَهَا فِي الْعُقُوقِ إِلَى أَبْعَدِ مَدَى.



فَقَالَتْ «رِيحَانُ»: «لَقَدْ اسْتَكْتَرْتُ عَلَيْكَ أُخْتِي أَنْ تَكُونَ حَاشِيَتِكَ مُؤَلَّفَةً مِنْ خَمْسِينَ فَارِسًا. أَمَّا أَنَا، فَأَسْتَكْتِرُ عَلَيْكَ نِصْفَ هَذَا الْعَدَدِ، وَأَرَى أَنْ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ فَارِسًا كَثِيرٌ عَلَيْكَ. وَمَا أَدْرِي: مَا حَاجَةٌ مِثْلِكَ — أَيُّهَا الشَّيْخُ — إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْحُرَّاسِ وَالْجُنْدِ؟ بَلْ مَا حَاجَتُكَ إِلَى عَشْرَةِ فُرْسَانٍ؟ بَلْ إِنِّي لَأَسْتَكْتِرُ عَلَيْكَ خَمْسَةً! صَدَّقْنِي إِنَّكَ لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى فَارِسٍ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ بَجَمْعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ؟ إِنَّ خَدْمِي لَيُؤَدُّونَ لَكَ — أَيُّهَا الشَّيْخُ — كُلَّ مَا تُرِيدُ؛ فَمَا انْتِفَاعُ مِثْلِكَ بِالْحَاشِيَةِ؟»

### (١٥) غَضَبَةُ الشَّيْخِ

وَتَمَّ (هُنَا) أَدْرَكَ الشَّيْخُ «لَيْرِ» أَنَّ ابْنَتَهُ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ أَبْرَّ بِهِ مِنَ الْأُولَى؛ فَاشْتَدَّ عَلَى بِنْتَيْهِ سَخَطُهُ، وَدَعَا عَلَيْهِمَا جَمِيعًا أَنْ تَلْقِيَا الْجَزَاءَ الْعَادِلَ، وَأَنْذَرَهُمَا بِسُوءِ الْمَصِيرِ. وَلَا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوَى عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْيَأْسِ، بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ مِنْ غَدْرِ بِنْتَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لَيَحْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ؛ فَصَاحَ مُتَأَلِّمًا مَحْزُونًا: «أَخْرَجَا مَعِيَ رُسُولِي وَبُهْلُولِي، وَلَنْ تَرِيَانِي بَعْدَ الْيَوْمِ!»

## الفصل الثالث

### (١) هُبُوبُ العاصِفَةِ

كَانَتِ اللَّيْلَةُ عاصِفَةً، قارِسَةً (شَدِيدَةَ البُرْدِ). وَقَدْ أَدْرَكَ الشَّيْخُ «لير» أَنَّ بِنْتَيْهِ الغادِرَتَيْنِ قَدْ أَسْلَمَتَاهُ إِلَى تِلْكَ الزَّوَابِعِ النَّائِرَةِ، والأعاصيرِ الهائِجَةِ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُمَا فِيهِ رَحْمَةً؛ فَاسْلَمَ لِجَوادِهِ العِنانَ، وَقَدْ كادَ اليأسُ يذْهَبُهُ، وَبَدَأَ عَلَيْهِ الخَبالُ (اِخْتِلاطُ العَقْلِ)؛ فَلَمْ يُبَالِ الزَّمْهَرِيرَ (بُلُوغَ البُرْدِ أَقْصاهُ)، وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ المُهَدَّمَةِ، مُؤْتِراً (مُخْتاراً) أَنَّ يُهْلِكُهُ البُرْدُ، عَلَى أَنْ تَدِلَّهُ بِنْتَاهُ.



وَضَلَّ يَلُوحُ بِذِرَاعِيهِ فِي الْفِضَاءِ كَأَنَّمَا يَتَوَعَّدُهُمَا، وَيُمِيلُ رَأْسَهُ إِلَى الْخَلْفِ، وَيَصِيحُ مُغْضَبًا حَانِقًا، حَتَّى لِيَحْسَبُ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ الْجُنُونِ. وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الشَّيْخِ «لِير» فِي مِحْنَتِهِ — غَيْرَ صَاحِبِيهِ الْمُخْلِصِينَ: «كُنْتُ» و«الْبُهْلُول».

## (٢) الْأَعاصِيرُ وَالرُّعُودُ

وَأَشْتَدَّتْ الزُّوْبَعَةُ عُنْفًا، وَتَحَدَّرَ الْمَطَرُ (سَقَطَ)، ثُمَّ هَمَى (نَزَلَ بِكَثْرَةٍ) كَأَنَّهُ السَّيْلُ الْجَارِفُ، وَجَلَجَلَتِ الرَّعُودُ الْقَاصِفَةُ، وَدَوَّتِ الرِّيَّاحُ الْعَاتِيَةُ (الْعَنِيفَةُ)، وَخِيلَ إِلَى النَّاسِ أَنَّ الْأَبْرَاقِينَ أَنْفَجَرَتْ، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ انْتَدَّرَتْ (تَسَاقَطَتْ)، وَأَنَّ الْجَحِيمَ سَعَّرَتْ (الْتَهَبَتْ) وَبَدَا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْهَمُّ (الْهَرَمُ)، وَقَدْ قَفَّ شَعْرُهُ (وَقَفَّ)، وَتَقَوَّسَ ظَهْرُهُ، وَأَنْحَنَتْ قَامَتُهُ الْمَدِيدَةُ، بَعْدَ أَنْ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ جَالِبَاتُ الدَّمَارِ (مُسَبِّبَاتُ الْهَلَاكِ)، وَعَصَفَتْ بِهِ عَاصِفَاتُ الْأَقْدَارِ.

## (٣) نَشِيدُ الْعَاصِفَةِ

وَكَانَ الشَّيْخُ «لِير» يَصْرُخُ مُنَحِدًّا هَذِهِ الْقَوَى الْعَاتِيَةَ الْمُتَالِبَةَ (الْمُتَجَمِّعَةَ) عَلَيْهِ، مُصَبِّحًا صَيِّحَاتٍ مُفْرَعَةً هَائِلَةً، وَهُوَ يَقُولُ: «هَبِّي أَيَّتُهَا الرِّيَّاحُ الْقَاسِيَةُ الْعَنِيفَةُ، الَّتِي تُهْلِكُ الْمَدَائِنَ، وَتُفْسِدُ الْأَرْضِينَ: الْمُنْبَسِطَةَ مِنْهَا، وَالْمَمْلُوءَةَ أَحْجَارًا وَرِمَالًا، وَالَّتِي لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ. ثُمَّ أَنْزِلِي مَطَرَكِ، يُعْطِي الْأَبْنِيَةَ الْعَالِيَةَ، وَيُغْرِقُ الْأَرْضِيَّ الْمَرْزُوعَةَ.» ثُمَّ يُنْشِدُ مُتَوَعَّدًا:

زَوَابِعَ الْأَمْطَارِ: هَبِّي مَعَ الْإِعْصَارِ  
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَاصِفَةً مِنْ نَارِ  
مَرْهُوبَةِ الدَّمَارِ تَأْتِي عَلَى الْأَمْصَارِ  
وَالسَّهْلِ وَالْقِفَارِ  
وَأَمْطِرِي تُلُوجًا تُجَلِّلُ الْبُرُوجَا  
وَتُغْرِقُ الْمَرْوَجَا

وَتَشْتَدُّ الْعَاصِفَةُ هُبُوبًا، وَيَزَارُ الرَّعْدُ مُجَلِّجًا قَاصِفًا، وَيَبْرُقُ الْبَرْقُ، يَكَادُ سَنَاهُ  
(ضَوْهَهُ) يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ، وَيُوْهِمُ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ الْكُرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِهَا (جَوَانِبِهَا)،  
وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ زُلْزِلَتْ زَلْزَالَهَا. فَيَشْتَدُّ صِيَاحُ الشَّيْخِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دَوِّي - أَيُّهَا الرِّيحُ -  
وَعَوِّي، وَدَمِّرِي بَيْتِي وَبِنْتِي، عَنِيتُ (قَصَدْتُ) الدُّنْبَتَيْنِ. ثُمَّ أَنْتَنِي (عَوَيْتِي) إِلَيَّ، فَأَمْطِرْنِي  
جَاحِمَكِ الْعَتِيَّ (نَارَكِ الْمُوقَدَةَ)، كِفَاءَ حَيِّبَتِي (عَلَى قَدْرِهِمَا)، فِي ظَنِّي الْحَسَنِ بِهِمَا.» ثُمَّ  
أُنشَدَ:

يا رِيحُ: دَوِّي، دَوِّي      ويا رُعودَ الْجَوِّ:  
لا تَهْدِنِي، وَعَوِّي      وانتزعي حُنُوِي  
وأحرقني عَدُوِي

\*\*\*

وَدَمِّرِي بَيْتِيَا      وَأَهْلِكِي بِنْتِيَا  
عَنِيتُ: نِئْبَتِيَا      ثُمَّ أَنْتَنِي إِلَيَا  
فَأَمْطِرِي عَلَيَا      جَاحِمَكِ الْعَتِيَا  
جَزَاءَ خُدَعَتِيَا      وَالْهَبِي جَنْبِيَا  
كِفَاءَ حَيِّبَتِيَا

ثُمَّ تَعَاوَدَهُ الدُّكْرِيَاتُ الْمُؤَلِّمَةُ، وَتَرَدَّدَ فِي سَمْعِهِ كَلِمَاتُ بِنْتِيهِ الَّتِي كَانَتْ تُمَلِّقَانِهِ  
بِهَا - لِتَسْتَوْلِيَا عَلَى مُلْكِهِ - وَيُقَابِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا رَأَهُ مِنْ عَدْرِهِمَا بِهِ، وَاسْتِهَانَتِهِمَا  
بِخَطَرِهِ (قَدْرِهِ وَقِيمَتِهِ)؛ فَيَسْتَأْنِفُ صِيَاحَهُ مُفْرَعًا، وَيَقُولُ مُؤَلِّمًا مُرَوِّعًا: «لَقَدْ خَدَعَنِي مَا  
نَمَقَّتْ (مَا زَيَّنَتْ) بِنْتَايَ مِنَ الْكَلَامِ، وَقَدْ دَهَانِي مَا دَهَانِي (أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي)، جَزَاءَ  
مَا صَنَعْتُ فِي الْإِنْخِدَاعِ بِهِمَا. فَيَأْيُئُهُ الرِّيَاحُ: اشْتَدَّتْ حَتَّى تَنْسِفِي (تُدَمِّرِي) الشَّامِخَاتِ  
(الْجِبَالَ الْعَالِيَةَ).» ثُمَّ أُنشَدَ:

لِيرُ الَّذِي أَغْرَاهُ      مَا نَمَقَّتْ بِنْتَاهُ  
دَهَاهُ مَا دَهَاهُ      جَزَاءَ مَا أَمْضَاهُ  
وَقَدَّمْتُ يَدَاهُ

دَوِّي رِيَا حَاقَصِفَهُ وَأَلْهَبِيهَا عَاصِفَهُ  
لِلشَّامِخَاتِ نَاسِفَهُ

#### (٤) أَلَامُ الشَّيْخِ

وَهَكَذَا قَصَى الشَّيْخُ لَيْلَةَ مُرُوعَةٍ، وَهُوَ هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ، كَأَنَّهُ نِصْفُ مَجْنُونٍ، مِمَّا لِحَقَهُ مِنَ الْأَلَامِ الْمُبْرَحَةِ (الْمُضْنِيَّةِ)، وَالْأَحْدَاثِ الْهَائِلَةِ.  
وَلَقَدْ بَدَلَ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ «كَنتَ» كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِ، لِلتَّرْفِيهِ (لِلتَّخْفِيفِ) عَنْ مَلِيكِهِ، وَتَهْوِينَ مُصَابِهِ عَلَيْهِ، مَا وَسَعَتْهُ حِيلَتُهُ. وَافْتَنَّ «الْبُهْلُولُ» فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ؛ لِإِذْهِلَّهُ عَنْ نَكْبَتِهِ، وَيُنْقِذَهُ مِنْ هَوْلِ الْجُنُونِ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ، كَمَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ رَجَاءَهُ، فَيَأْوِي مَعَهُ إِلَى حُصٍّ (بَيْتٍ مِنَ الشَّجَرِ) قَرِيبٍ، حَتَّى تَنْتَهِيَ تِلْكَ الْعَوَاصِفُ الْهُوجُ (النَّائِرَةُ).

وما زالَ به حتى أطاعَهُ، وسارَ مَعَهُ مُيَمِّمًا (قاصدًا) ذُلِكَ الْكُوْحِ، وَهُوَ يُنَاجِي نَفْسَهُ مَحْزُونًا: «أفي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تَطْرُدُنِي بِنْتَايَ؟ أفي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تُغَلِّقُ دُونِي أَبَوَابَهُمَا؟ واهِ مِنْكَ يَا «رِيحَانُ»، وَتَبًّا (هَلَاكًا) لَكَ يَا «جُنْرِيْلُ»! أَهَكَذَا تُجْزِيَانِ بِالْجُحُودِ أَبَاكَمَا الشَّفِيقَ، الَّذِي وَهَبَكَمَا كُلَّ مَا مَلَكَ؟ إِنَّ عَاصِفَةَ الْجَوِّ — عَلَى قَسْوَتِهَا — لَأَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ الْعَاصِفَةِ الَّتِي أَنْزَلْتُمَا فِي نَفْسِ أَبِيكُمَا، بِمَا أَسْلَفْتُمَا (قَدَّمْتُمَا) إِلَيْهِ مِنْ جُحُودٍ وَعُقُوقٍ!»

وَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْحُصِّ، قَالَ الْمَلِكُ «لِيرَ»: «إِنَّ أَحَقَرَ الْأَشْيَاءِ لِيُصْبِحَ عَظِيمَ الْقَدْرِ، جَلِيلَ الْخَطَرِ، مَتَى اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ. فَلَا عَجَبَ إِذَا عَدَدْنَا (قَدَّرْنَا) الظَّفَرَ بِهَذَا الْحُصِّ غُنْمًا كَبِيرًا، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ!»

#### (٥) أَنْشُودَةُ «الْبُهْلُولِ»

وَاسْتَمَعَ الْمَلِكُ «لِيرَ» إِلَى صَوْتِ مَعْنٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُ؛ فَالْتَفَتَ، فَإِذَا بِهِ «الْبُهْلُولُ»، يَنْظَاهِرُ بِالسَّرُورِ، وَيَتَكَلَّفُ الْمَرَحَ (شِدَّةَ الْفَرَحِ)، وَيَلْتَفِتُ إِلَى مَوْلَاهُ مُنْشِدًا:

قَسَمْتَ — بِالْأَمْسِ — مُلْكًا يَا «لِيرَ»، أَظْلَمَ قِسْمَهُ!

أَقْصَيْتَ كُلَّ عَلِيمٍ      جَهْلًا، وَأَنْكَرْتَ عِلْمَهُ  
وَرُحْتَ تُدْنِي لَيْمًا      بِالْمَدْحِ يَسْتُرُ لَوْمَهُ  
يَا مُطْفِئَ النُّورِ: مَهْلًا،      شَرَيْتَ بِالنُّورِ ظِلْمَهُ!

فَقَالَ الشَّيْخُ مَدْهُوْشًا: «نَعَمْ: لَقَدْ أَقْصَيْتُ (أَبَعَدْتُ) الْعَلِيمَ، وَأَدْنَيْتُ (قَرَّبْتُ) اللَّيْمَ. لَقَدْ أَحْسَنْتَ التَّعْبِيرَ عَمَّا كُنْتُ أَفَكِّرُ فِيهِ الْآنَ، وَصَدَقْتَ فِي إِظْهَارِ مَا نَاجَيْتُ بِهِ نَفْسِي (مَا حَدَّثْتُهَا سِرًّا) فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ. فَمَا أَبْرَعَكَ بَاكِيًا وَمُغْنِيًا، وَمَا أَظْرَفَكَ جَادًّا وَهَازِلًا!»  
فَقَالَ «الْبُهْلُولُ»: «إِنِّي أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِعَهْدِكَ، وَأَخْلَصُ الْأَصْدِقَاءَ لَكَ. وَإِنِّي ذُو عَزْمٍ قَوِيٍّ، وَهَمِّهِ عَظِيمَةٍ، وَرَأْيٍ صَائِبٍ. وَلَوْ تَرَكْتَنِي أَحْكَمَ وَأَبْرَمَ (أَجْعَلَ حُكْمِي نَافِذًا)، لَقَسَمْتُ مُلْكَكَ قِسْمَةً عَادِلَةً حَكِيمَةً.»  
ثُمَّ اسْتَأْنَفَ «الْبُهْلُولُ» غِنَاءَهُ مُنْشِدًا:

«بُهْلُولُ»: مَجْنُونٌ «لِيرِ»  
أَوْفَى الْأَخْلَاءِ قَلْبًا  
وَأَحْسَنُ الْقَوْمِ رَأْيًا  
لَوْ كَانَ مَجْنُونٌ «لِيرِ»  
لَكَانَ أَعْدَلُ قِسْمَهُ  
أَبْرُ عَهْدًا وَذِمَّةً  
وَأَصْدُقُ الصَّحْبِ عَزْمَهُ  
وَأَبْعَدُ النَّاسِ هَمَّهُ  
يَقْضِي، وَيُبْرِمُ حُكْمَهُ  
مِنْهُ، وَأَوْفَرَ حِكْمَهُ

## (٦) شَيْطَانُ الْغَابَةِ

وَمَا بَلَغَ الْمَلِكُ وَرَفِيقَاهُ ذَلِكَ الْخُصَّ، أَسْرَعَ «الْبُهْلُولُ» إِلَى دُخُولِهِ لِيُرْتَادَهُ (لِيَتَعَرَّفَهُ وَيَحْتَبِرَهُ) لِصَاحِبِيهِ. وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى عَادَ إِلَيْهِمَا مُسْرِعًا، وَهُوَ يَقُولُ: «حَذَارِ أَيُّهَا الرَّفِيقَانِ، فَقَدْ رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْخُصِّ شَيْطَانًا مَرِيدًا (غَنِيْدًا قَاسِيًا). وَهُوَ يَزْعَمُ أَنَّ اسْمَهُ «نُوم»، وَيُلْقِبُ نَفْسَهُ بِالْمِسْكِينِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ سِمَةَ الْخَبَالِ (عَلَامَةَ الْجُنُونِ)؛ فَهُوَ مَخْبُولٌ إِنْ كَانَ إِنْسِيًّا (مِنَ النَّاسِ)، وَإِذَا صَدَقَ حَدْسِي (تَحْمِينِي)، وَصَحَّ ظَنِّي، فَمَا هُوَ إِلَّا شَيْطَانٌ هَذِهِ الْغَابَةِ.»

فَلَمَّا حَرَجَ مِنَ الْخُصِّ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الْمِسْكِينُ، وَجَدُوهُ اشْتَعَتْ أَغْبَرَ (مُتَلَبِّدَ الشَّعْرِ، لَوْثُهُ كَلَوْنِ الْعُبَارِ)، عَارِي الْجِسْمِ إِلَّا مِنْ أَسْمَالٍ بِالْيَةِ (أَتْوَابٍ مُهْلَهَلَةٍ قَدِيمَةٍ)، تَلُوْحُ عَلَيْهِ

أماراتُ البؤسِ. فصاحَ به المَلِكُ «لير»: «ماذا بك، أيُّها الشَّقِيُّ المِسْكِينُ؟ هلْ طَرَدْتَكِ ابْنَتَاكَ من بيتِكَ، بَعْدَ أَنْ أَوْرَثْتَهُمَا إِيَّاهُ؟»  
فأجابَ الرَّجُلُ مُنْبَاهِلًا، مُتَغَابِيًا: «أنا: تومُ المِسْكِينُ. فَهَلُمُّوا إلى بَيْتِي، أَيُّها الرَّفَاقُ.»

### (٧) الأَمِيرُ الوَفِيُّ

وما اسْتَقَرَّ بِهِمُ المَقَامُ، حَتَّى رَأَوْا شَيْخًا يَجُوسُ خِلالَ العَابَةِ (يَمُرُّ فِي طُرُقَاتِهَا)، وَفِي يَدِهِ مَشْعَلٌ يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ فِي الظُّلَامِ الحَالِكِ.



وما تَبَيَّنَ الوُزَيْرُ «كُنْتُ» ذَلِكَ الشَّيْخَ القَادِمَ، حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ الأَمِيرُ «جُلُسْتَر». فَسَأَلَهُ عَنِ سَبَبِ مَقْدَمِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الهَائِلَةِ.  
فَقَالَ لَهُ: «لَقَدْ طَالَ بَحْثِي عَنِ المَلِكِ «لير»: لِأَوِيهِ (أُضِيفَهُ) فِي بَيْتِ قَرِيبٍ مِنْ قَصْرِي؛ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِهِ (يَنْتَظِرُونَ لَهُ الشَّرَّ). وَإِنِّي لِيَحْزَنُنِي مَا أَرَاهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمَارَاتِ الحَبَالِ (عَلَامَاتِ ضَعْفِ العَقْلِ).»  
فَقَالَ لَهُ «كُنْتُ»: «لَقَدْ أَصْبَحَ الشَّيْخُ أَقْرَبَ إنْسَانٍ إِلَى الأَجْنُونِ.»

فقال الأمير: «إِنَّ نِصْفَ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ (الْمَصَائِبِ) لَيُسَلِّمُ الْعَاقِلَ إِلَى الْجُنُونِ.»

### (٨) فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ

وَبَعْدَ حِوَارٍ (حَدِيثٍ) طَوِيلٍ، ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الْبَيْتِ الرَّيْفِيِّ الَّذِي أَعَدَّهُ الْأَمِيرُ لِسُكْنَاهُمْ قَرِيبًا مِنْ قَصْرِهِ. ثُمَّ تَرَكَهُمْ مُسْتَأْذِنًا عَلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ. وَجَلَسَ «لِير» مَعَ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ عَادَ إِلَيْهِ خَبَالُهُ وَهَدْيَانُهُ؛ فَتَمَثَّلَ نَفْسَهُ قَاضِيًا يُحَاكِمُ بِنَتْنِيهِ، وَيَجْزِيهِمَا بِمَا أَسْلَفْتَاهُ (قَدَّمَتَاهُ) إِلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةٍ وَعَقُوقٍ.

وما زال يَهْذِي حَتَّى خَارَتْ قُوَاهُ، وَزَايَلَهُ رُشْدُهُ (فَارَقَهُ هُدَاهُ)، وَأَسْلَمَهُ الضَّنَى (سُوءُ الْحَالِ) وَالضَّعْفُ إِلَى نَوْمٍ عَمِيقٍ.





## الفصل الرابع

### (١) الأَمِيرُ «جُلُستَر»

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ: لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْأَمِيرُ «جُلُستَر» الَّذِي عُنِيَ (اهْتَمَّ) بِالْمَلِكِ «لِير»، وَبِذَلِكَ لَهُ كُلُّ مَا فِي قُدْرَتِهِ مِنْ رِعَايَةٍ وَإِكْرَام. وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ بِبَعْضِ حَدِيثِهِ الْمَحْزَنِ؛ لِتَتَعَرَّفَ مَكَانَهُ مِنْ شُخُوصِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِدَةِ.

كَانَ الْأَمِيرُ «جُلُستَر» شَدِيدَ الْوَفَاءِ لِمَلِيكِهِ «لِير». وَقَدْ حَزِنَ لِمَا أَصَابَهُ مِنْ نَكَبَاتٍ وَأَحْدَاثٍ، وَبَكَى لِعَثْرَتِهِ (لِسَقَطَتِهِ). وَلَمْ يَكُنْ يَعْدِلُهُ (يُسَاوِيهِ) — فِي إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ لَهُ — غَيْرُ «كَنت»: الْوَزِيرِ، وَ«كَرْدَلِيَا»: صُغْرَى بَنَاتِ الْمَلِكِ «لِير».

### (٢) وَلدَا الْأَمِيرِ

وَكَانَ لِهَذَا الْأَمِيرِ الْمُخْلِصِ الْوَفِيِّ وَلدَانِ، اسْمٌ أَحَدُهُمَا: «إِدْجَار» وَاسْمُ الثَّانِي: «إِدْمُنْد». فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ مِثَالَ الْوَفَاءِ، وَأَمَّا أَخُوهُ فَكَانَ مِثَالَ الْعُقُوقِ. وَلَمْ يَكُنِ الثَّانِي — عَلَيَّ الْحَقِيقَةِ — وَلدَ الْأَمِيرِ «جُلُستَر»؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ مُنْتَسِبًا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ تَبَنَاهُ (اتَّخَذَهُ ابْنًا) — مُنذُ نِشَاءَتِهِ — وَجَعَلَهُ صِنْوًا (أَخًا) لِابْنِهِ «إِدْجَار»، وَبِذَلِكَ لَهُ كُلُّ مَا يَمْلِكُ مِنْ رِعَايَةٍ وَتَهْدِيْبٍ.

فَلَمَّا كَبِرَ «إِدْمُنْد» نَسِيَ كُلَّ مَا حَبَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ «جُلُستَر» (مَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ)، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ غَرَضٌ يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِهِ، غَيْرُ الْوِشَايَةِ (السَّعْيِ بِالسُّوءِ) بِأَخِيهِ، وَإِغَارِ صَدْرِ أَبِيهِ (إِشْعَالِهِ غَيْظًا) عَلَيْهِ؛ لِيَسْتَأْتِرَ وَحْدَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

### (٣) فِرَارُ «إِدْجَارِ»

وَدَبَّرَ ذَلِكَ الْوَلَدُ الْغَادِرُ: «إِدْمُنْدُ» مُؤَامِرَةٌ حَسِيسَةٌ لِإِقْصَاءِ صَاحِبِهِ (إِبْعَادِهِ) عَنْ أَبِيهِ؛ فَأَوْهَمَ الْأَمِيرَ أَنَّ وَلَدَهُ «إِدْجَارُ» يَأْتِمُرُ بِهِ (يُشَاوِرُ نَفْسَهُ فِيهِ)، لِيَقْتُلَهُ طَمَعًا فِي ثَرَوَتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَمَنْصِبِهِ الْخَطِيرِ. وَمَا زَالَ يُغْرِبِهِ (يُطْمَعُهُ) وَيُوَلِّبُهُ (يُثِيرُهُ)، حَتَّى أَقْنَعَهُ بِصِدْقِ مَا افْتَرَاهُ (مَا اخْتَلَقَهُ)، بَعْدَ أَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابًا زَوَّرَهُ وَعَزَاهُ (نَسَبَهُ) إِلَى أَخِيهِ. وَقَدْ أَفْلَحَتْ مُؤَامِرَتُهُ — بَعْدَ قَلِيلٍ — فَهَرَبَ أَخُوهُ «إِدْجَارُ»، فِرَارًا مِنْ سُخْطِ أَبِيهِ الَّذِي تَوَعَّدَهُ بِالْقَتْلِ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ لِعُضْبِهِ سَبَبًا.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، تَزَيَّا «إِدْجَارُ» بِزَيِّ الْفُقَرَاءِ، وَتَظَاهَرَ بِالْبَلْبَهِ وَالْجُنُونِ، وَغَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ، وَأَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ اسْمًا: «تُومِ الْمَسْكِينِ»، الَّذِي قَالَ عَنْهُ «الْبُهْلُولُ»: «إِنَّهُ شَيْطَانُ الْغَابَةِ». كَمَا ذَكَرْتُهُ لَكَ، فِيمَا قَصَصْتُهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَصْلِ السَّابِقِ.

### (٤) مُسْتَشَارُ الْمَمْلَكَةِ

كَانَ «إِدْمُنْدُ» شَدِيدَ الطَّمُوحِ (عَظِيمَ الرَّغْبَةِ فِي الْعُلُوِّ)، وَكَانَ يَجْمَعُ — إِلَى دِهَائِهِ (مَكْرِهِ) وَذَكَائِهِ — مِنْ حُبِّهِ الطَّبَعِ وَلَوْمِ النَفْسِ: مَا لَا يَخْطُرُ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ. وَقَدْ ابْتَهَجَ لِنَجَاحِهِ فِي مُؤَامِرَتِهِ الْحَسِيسَةِ الَّتِي دَبَّرَهَا لِإِقْصَاءِ أَخِيهِ، وَأَعْرَاهُ (زَيَّنَ لَهُ) ذَلِكَ الْفَوْزُ بِمُضَاعَفَةِ هِمَّتِهِ، لِتَحْقِيقِ غَايَتِهِ الْبَعِيدَةِ؛ وَهِيَ ارْتِقَاءُ الْعَرْشِ وَالظَّفَرُ (الْفَوْزُ) بِالْمُلْكِ. وَقَدْ اسْتَوْلَتْ هَذِهِ الْغَايَةُ عَلَيْهِ وَتَمَلَّكَتْ تَفْكِيرَهُ، وَامْتَزَجَتْ بِدِمِهِ، وَهَيَمَنْتْ (تَغَلَّبَتْ) عَلَى نَفْسِهِ؛ فَأَصْبَحَ لَا يُبَالِي أَقْتَرَفَ الشُّنْعَ وَالْآثَامَ (ارْتَكَبَ الْقَبَائِحَ وَالْجَرَائِمَ)، فِي سَبِيلِ بُلُوغِ أُمْنِيَّتِهِ.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصْبَحَ مُسْتَشَارَ الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا، وَمَوْضِعَ ثِقَةِ الْأَخْتَيْنِ جَمِيعًا. وَتَمَّ بَدَأُ يُوغِرُ صَدْرَ «جُنْرِيلِ» وَ«رِيْجَانِ» عَلَى أَبِيهِمَا. وَمَا زَالَ يَزْسُمُ لِهَمَا الْخَطَّةَ لِلْخَلَاصِ مِنْهُ، وَيُزَيِّنُ لِهَمَا ذَلِكَ، حَتَّى أَقْصَتَاهُ عَنْهُمَا، وَخَلَا الْجَوُّ لِذَلِكَ الْمُسْتَشَارِ الْمَاكِرِ الْخَبِيثِ.

### (٥) الجاسوس

وَلَمْ يَقِفْ لَوْمْ طَوِيَّتِهِ (حُبْتُ نَيْتَهُ) عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ؛ فَرَاخَ يَنْقُلُ إِلَى بِنْتِي «لِير» أَخْبَارَ الْأَمِيرِ «جُلْستَر»، الَّذِي تَبَنَاهُ وَتَعَهَّدَهُ مِنْذُ نَشَأَتِهِ، وَرَبَّاهُ فِي حَادِثَتِهِ. وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْأَمِيرِ أَنَّ «إِدْمُنْدُ» — أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَالصَّقَمُ بِهِ — يَنْجَسُ أَخْبَارَهُ، وَيُحْصِي (يَعُدُّ) عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، لِيَلْبِغَهَا أَعْدَاءَهُ.

وَقَدْ عَرَفَ «إِدْمُنْدُ» — مِنْ مُحَادِثَةِ الْأَمِيرِ — أَنَّهُ يَعْتَزِمُ الْعَوْدَةَ إِلَى الْمَلِكِ «لِير»؛ لِيُبْصِرَ رَفِيقَهُ «كَنْت» بِمَا يَتَهَدَّدُ مَلِكُهُ مِنْ أخطارٍ، وَيُوصِيَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى «دُوفَر»، حَيْثُ تُقِيمُ «كُرْدِلِيَا»: صَغُرَى بِنَاتِ «لِير»؛ لِيُفْضِيَ إِلَيْهَا (لِيُخْبِرَهَا) بِمَا لَقِيَهُ أَبُوهَا، وَبِمَا لَا يَزَالُ يَلْقَاهُ، مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ.

### (٦) نصيحة الأمير

وَلَمَّا خَرَجَ الْأَمِيرُ «جُلْستَر» مِنْ قَصْرِه، عَائِدًا إِلَى «الدَّسْكَرَةِ» (الْقَرْيَةِ) الَّتِي أُوْدِعَ فِيهَا «لِير» وَأَصْحَابُهُ، أَفْضَى إِلَيْهِمْ بِمَا يُسَاوِرُهُ مِنْ قَلْقٍ عَلَى حَيَاةِ الْمَلِكِ. وَأَلْحَ عَلَى الشَّيْخِ «لِير» فِي أَنْ يُسَافَرَ إِلَى «دُوفَر»؛ حَيْثُ يَلْقَى — مِنْ رِعَايَةِ بِنْتِهِ الْبَارَّةِ «كُرْدِلِيَا» وَعِنَايَتِهَا — مَا هُوَ خَلِيقٌ (جَدِيرٌ) بِهِ، وَزَوَّدهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ. وَقَدْ أَدْرَكَ الْوَزِيرُ «كَنْت» مَا يَتَهَدَّدُ «لِير» مِنَ الْأخطارِ؛ فَاسْرَعَ إِلَى تَنْفِيذِ مَا أَوْصَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ «جُلْستَر» قَبْلَ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ.

### (٧) نكبة الأمير

وَمَا عَادَ الْأَمِيرُ «جُلْستَر» إِلَى قَصْرِه، حَتَّى قَبِضَتْ عَلَيْهِ «رِيْجَانُ» وَزَوْجُهَا وَ«جُنْدِيلُ» أَحْنَهَا، بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا مِنْ «إِدْمُنْدُ» الْحَبِيثِ، كُلِّ مَا أَسْدَاهُ (قَدَّمَهُ) الْأَمِيرُ إِلَى الْمَلِكِ «لِير» مِنْ صَنِيعِ مَشْكُورٍ.

وَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَرِيمِ؛ فَأَوْتَقُوا كِتَافَهُ، وَصَفَّدُوهُ (وَضَعُوهُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ). وَتَمَادَوْا فِي الْإِسَاءَةِ وَالتَّنْكِيلِ بِهِ (تَعْذِيْبِهِ) وَشَتَمِهِ، ثُمَّ نَتَفَوْا شَعْرَاتٍ مِنْ لِحْيَتِهِ. فَلَمَّا غَضِبَ وَتَارَ لِكْرَامَتِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الرِّعَايَةِ، زَادَتْ نِقْمَتُهُمْ عَلَيْهِ. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ زَوْجُ «رِيْجَانُ»، وَأَخْرَجَ عَيْنِيهِ: وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى؛ فَصَرَخَ الْأَمِيرُ مُغَوِّئًا (مُسْتَعْيِبًا)، بَعْدَ أَنْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ. فَتَحَمَّسَ لِنُصْرَتِهِ أَحَدُ خَدَمِهِ، وَطَعَنَ الْجَانِيَّ الْأَيْتِمَ طَعْنَةً قَاتِلَةً،

انتصارًا لِمَوْلَاهُ، وَاِنْتِقَامًا لَهُ مِمَّنْ أَعْمَاهُ. وَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ (مَاتَ) ذَلِكَ الْخَادِمُ الشَّهْمُ فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ النَّبِيلِ.

أَمَّا الْأَمِيرُ «جُلَسْتَر»، فَقَدْ أَلْقَا بِهِ خَارِجَ الْقَصْرِ، دُونَ أَنْ تُدْرِكَهُمْ شَفَقَةٌ بِهِ، وَلَا رَحْمَةً عَلَيْهِ.

## (٨) الزَّارِعُ وَالْأَمِيرُ

وَيُمِثِّي الْأَمِيرُ خُطَوَاتٍ قَلِيلَةً عَلَى غَيْرِ هُدًى، فَيَلْقَاهُ شَيْخٌ فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ؛ فَيَسْأَلُهُ الشَّيْخُ مَحْزُونًا عَمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ. فَيَرْجُوهُ الْأَمِيرُ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْهُ حَتَّى لَا يُصِيبَهُ مِنْ أَجْلِهِ سُوءٌ، فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ: «أَحْبِبْ بَكُلِّ مَا أَلْقَاهُ مِنْ أَدَى وَضُرِّ فِي سَبِيلِكَ؛ فَقَدْ نَشَأْتُ فِي نِعْمَتِكَ، وَعِشْتُ مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَأْجَرْتُهَا مِنْكَ وَمِنْ أَبِيكَ. وَلَنْ أَتْرُكَكَ وَحِيدًا، بَعْدَ أَنْ فَقَدْتُ نُورَ عَيْنَيْكَ، وَعَجَزْتُ عَنْ تَعْرِفِ الطَّرِيقِ.»

فَقَالَ لَهُ «جُلَسْتَر»: «لَقَدْ تَعَثَّرْتُ فِي طَرِيقِي حِينَ كُنْتُ أَبْصُرُ، وَأَخْطَأْتُ فِي الْحُكْمِ عَلَيَّ مَا رَأَيْتُ، وَلَمْ تَعْصِمْنِي (لَمْ تَحْفَظْنِي) عَيْنَايَ مِنَ الْخَطَا. فَلَعَلِّي أَعُودُ إِلَى الصَّوَابِ وَأَنَا أَعْمَى، فَلَا أَسْرَعُ فِي الْحُكْمِ عَلَيَّ مَا يُحِيطُ بِي مِنَ الْأَشْيَاءِ.»

## (٩) الْأَمِيرُ وَالْمَجْنُونُ

وَلَقِيَهُمَا فِي طَرِيقِهِمَا «تُومُ الْمَسْكِينِ»، وَهُوَ يَنْظَاهِرُ بِالْمَجْنُونِ كِعَادَتِهِ. وَلَعَلَّكَ الْآنَ قَدْ عَرَفْتَهُ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَفْتُ لَكَ الْقَوْلَ: إِنَّهُ «إِدْجَارُ» وَلَدُ الْأَمِيرِ، الَّذِي وَشَى بِهِ أَخُوهُ «إِدْمُنْد». وَرَأَى الْوَلَدُ الْبَرُّ الْوَلِيُّ مَا أَصَابَ وَالِدَهُ مِنَ النَّكَبَاتِ؛ ففَاضَ قَلْبُهُ لَوَعَةً (حَرْقَةً) وَحُزْنًا. وَلَكِنَّهُ آثَرَ (فَضَلَ) التَّجَلُّدَ وَالصَّبْرَ؛ حَتَّى لَا يَفْطَنُ أَبُوهُ إِلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ فَتَنْكَشِفَ حِيلَتُهُ. وَقَدْ أَلَحَّ الْأَمِيرُ عَلَى الشَّيْخِ الزَّارِعِ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْكِينِ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: «وَكَيْفَ أُسَلِّمُكَ إِلَى مَجْنُونٍ؟»

فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ: «لَقَدْ أَصْبَحَ مَنْ كُنَّا نَحْسَبُهُمْ عُقْلَاءَ، خَادِعِينَ مُضَلَّلِينَ فِي هَذِهِ الْإَيَّامِ السُّودِ. وَلَعَلِّي أَجِدُ فِي هُدًى (فِي رَأْيِي) مَنْ نَحْسَبُهُمْ مَجَانِينَ: خَيْرًا مِمَّا وَجَدْتُهُ فِي هُدًى أَوْلِيكَ

الْمُتَظَاهِرِينَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْحِكْمَةِ. فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تُسَيِّدِي إِلَيَّ جَمِيلًا (تَصْنَعُ مَعِيَ مَعْرُوفًا)، فَأَحْضُرُ ثِيَابًا لَتَكْسُوَ بِهَا ذَلِكَ الْعَارِي الْمَسْكِينُ.»  
فَقَالَ لَهُ الزَّرَّارُ: «سَأَحْضُرُ لَهُ حَيْرَ مَا عِنْدِي مِنَ الثِّيَابِ.»

## (١٠) جَوَارُ الْأَمِيرِ وَوَلَدِهِ

وَسَارَ الْأَمِيرُ مَعَ وَلَدِهِ «إِنْدَجَارَ»، الَّذِي كَانَ لَا يَزَالُ يَتَظَاهَرُ أَمَامَ أَبِيهِ بِأَنَّهُ مَجْنُونٌ، حَتَّى لَا يَفْطَنُ إِلَى حَقِيقَتِهِ.

وَسَأَلَهُ الْأَمِيرُ: «أَتَعْرِفُ الطَّرِيقَ — يَا فَتَى — إِلَى «دُوفِر»؟»

فَقَالَ لَهُ: «أَعْرِفُ كُلَّ خَافِيَةٍ مِنْ حَوَافِيهَا، وَلَا أَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِهَا وَمَجَاهِلِهَا.»  
فَقَالَ لَهُ: «بِرَبِّكَ: سِرْ مَعِيَ حَتَّى تَبْلُغَ بِي الصَّخْرَةَ الْعَالِيَةَ الَّتِي تُشْرَفُ (تُطَلُّ) عَلَى الْبَحْرِ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ؛ لِأَلْقِي بِنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ الْعُلُوِّ الشَّاهِقِ؛ فَأَخْلُصَ مِمَّا أَكَابِدُهُ مِنَ الْأَلَامِ الْمُبْرِحَةِ (الْمُوجِعَةِ). وَخُذْ هَذَا الْكَيْسَ بِمَا فِيهِ مِنْ مَالٍ، مُكَافَأَةً لَكَ عَلَى ذَلِكَ.»

فَتَظَاهَرَ وَلَدُهُ بِطَاعَتِهِ، وَمَا زَالَ يَمِثِي مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ بِهِ صَخْرَةً قَلِيلَةَ الِازْتِفَاعِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ. فَقَالَ لَهُ: «مَا أَبْعَدَ هَذِهِ الْقِمَّةِ الشَّاهِقَةَ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ! إِنِّي لِأَرَى أَحَدَ الصِّيَادِينَ وَهُوَ وَقَفُ عَلَى الشَّاطِئِ؛ فَيَخِيلُ إِلَيَّ — مِنْ فَرَطِ الْعُلُوِّ — أَنَّهُ فَاةٌ صَغِيرَةٌ، وَأَرَى الْمَرَائِكِبَ الْكَبِيرَةَ؛ فَلَا أَكَادُ أَنْبِيْنَ رَسْمَهَا، لَفَرَطِ ضَالَّتِهَا (شِدَّةِ صِغَرِهَا)، وَحَقَارَةِ أَحْجَامِهَا، هَلُمَّ — يَا سَيِّدِي — فَاقْفِرْ كَمَا تُرِيدُ!»

وَلَقَدْ خِيلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَنَّ مُحَدَّثَهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ؛ فَفَقَزَ مِنَ الصَّخْرَةِ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ.

وَأَقْبَلَ وَلَدُهُ «إِنْدَجَارُ»، وَقَدْ غَيَّرَ مِنْ صَوْتِهِ، مُنْظَاهِرًا بِأَنَّهُ شَخْصٌ آخَرُ؛ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ هَوَيْتَ — يَا عَمُّ — مِنْ ذَلِكَ الِازْتِفَاعِ الشَّاهِقِ، دُونَ أَنْ يُدَقَّ عُنُقُكَ (تَنْكَسِرَ رَقَبَتُكَ)، وَتُسْحَقَ عِظَامُكَ؟»

فَعَجِبَ الْأَمِيرُ مِمَّا سَمِعَ، وَقَالَ لَهُ: «مِنْ أَيِّ اِزْتِفَاعٍ هَوَيْتَ (سَقَطْتَ)؟» فَأَجَابَهُ «إِنْدَجَارُ» مُتَظَاهِرًا بِاللَّهُشَةِ وَالْعَجَبِ: «أَلَا تَعْرِفُ مَدَى الْهُوَّةِ السَّحِيقَةِ (مُقْدَارِ الْحُفْرَةِ الْعَمِيقَةِ) الَّتِي تَرَدَّيْتَ (سَقَطْتَ) فِيهَا؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ — مِنْذُ لِحْظَةٍ بَيْسِرَةٍ — وَأَنْتَ فِي عَالِيَةِ هَذَا الْجَبَلِ الشَّاهِقِ، وَمَعَكَ مَخْلُوقٌ عَجِيبٌ، تَبْدُو عَيْنَاهُ كَأَنَّهَمَا — لَشِدَّةِ اتِّسَاعِهِمَا —



قَمَرَانِ مُسْتَدِيرَانِ، وَقَدْ خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ لَهُ أَلْفَ وَجْهِ. وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ (خَبِيثٌ).  
فَلْتَهْنَأُ بِنَجَاتِكَ مِنْهُ، وَلْتَفْرَحْ بِمَا ظَفِرْتَ بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ؛ فَمَا أَشْكُ فِي أَنَّ الْعِنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ  
تَصْحَبُكَ وَتَحْرُسُكَ.»

### (١١) فِي الْحُقُولِ

وإِنَّهُمَا لَيْسِيرَانِ فِي الْحُقُولِ، إِذْ لَقِيَهُمَا الْمَلِكُ «لَيْرٌ»، وَقَدْ عَقَدَ عَلَى رَأْسِهِ تَاجًا مِنَ الْأَزْهَارِ  
الْبُرِّيَّةِ. فَلَمَّا حَيَّاهُ «إِنجَارٌ»، أَنْشَأَ «لَيْرٌ» يَهْدِي وَيُجَمِّمُ الْأَفَاطِلَ لَا مَعْنَى لَهَا. فَعَرَفَهُ الْأَمِيرُ  
«جُلِسْتَرٌ» — حِينَ سَمِعَ صَوْتَهُ — وَسَأَلَهُ قَائِلًا: «تَرَى مَنْ أَرَى؟ أَلَسْتَ الْمَلِكُ «لَيْرٌ»؟»



فأجابه: «إِنَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي (كُلُّ عَضُوٍّ مِنْ أَعْضَائِي)، وَكُلَّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِ جِسْمِي، لَتَنْطِقُ صَارِحَةً مُحَدِّثَةً: أَنَّنِي الْمَلِكُ «لِير». أَمَا أَنْتَ، فَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا بِنْتِي «جُنْرِيل»، بَرَعْمَ هَذِهِ اللَّحْيَةِ الْبَيْضَاءِ.»

ثُمَّ اسْتَوَى الْخَبَالُ وَالْهَدْيَانُ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى، فَحَزِنَ الْأَمِيرُ لِمَا حَدَّثَ، وَهَانَ عَلَيْهِ مَا حَلَّ بِهِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ، بَعْدَ أَنْ رَأَى مَا بَلَغَهُ الْمَلِكُ «لِير» مِنْ سُوءِ الْمَالِ (الْعَاقِبَةِ).





## (١٢) عَوْدَةُ الْمُخْلِصَةِ

هَدَاتِ الْعَوَاصِفُ النَّائِرَةَ، وَسَكَنَتِ الرَّعُودُ الْمُدَوِّيَّةُ، وَتَقَشَّعَتِ (زَالَتِ) السُّحُبُ الْمُتَلَبِّدَةُ، وَظَهَرَتِ السَّمَاءُ صَافِيَةً بَعْدَ أَنْ حَجَبَتْهَا الْغُيُومُ. وَعَادَتِ الْبِنْتُ الْوَفِيَّةُ «كُرْدَلِيَا» فِي جَيْشِهَا الْعَظِيمِ، لِتُنْقِذَ أَبَاهَا مِمَّا يُعَانِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْكَوَارِثِ. وَكَانَتْ قَدْ عَلِمَتْ مِنَ الْوَزِيرِ الْمُخْلِصِ: «كُنْتُ»، مَا عَانَاهُ الشَّيْخُ «لَيْرٍ» مِنَ الْخُطُوبِ وَالْمِحَنِ. فَأَخْبَرَتْ زَوْجَهَا: مَلِكِ «فَرَنْسَا» بِتِلْكَ الْقِصَّةِ الْمُفْرَعَّةِ؛ فَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي إِعْدَادِ جَيْشٍ كَبِيرٍ، لِتَأْدِيبِ أُخْتَيْهَا الْغَادِرَتَيْنِ، وَالتَّنْكِيلِ بِهِمَا (جَعَلَهُمَا نَكَالًا وَعِبْرَةً)؛ جَزَاءَ مَا أَسْلَفَتْهُمَا إِلَى أَبِيهِمَا «لَيْرٍ»، مِنْ إِسَاءَةٍ وَجُحُودٍ.

وما كان أسرع «كُرْدَلِيَا»: صُغِرَى البَنَاتِ، وَأَوْفَاهَنَّ عَهْدًا، وَأَكْرَمَهُنَّ نَفْسًا، إِلَى نَجْدَةِ أَبِيهَا. فَقَدْ غَادَرَتْ «دَوْفَرَ» — مِنْ فَوْرِهَا — وَمَا زَالَتْ تَجِدُ فِي سَيْرِهَا، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى أَبِيهَا، وَهِيَ أَشَوْقُ مَا تَكُونُ إِلَى لِقَائِهِ، وَلَثَمَ يَدَيْهِ (تَقْبِيلِيهِمَا)، وَالْإِعْتِذَارِ لَهُ مِمَّا كَابَدَهُ (قَاسَاهُ) مِنْ عُقُوقِ بِنْتَيْهِ، وَمَا لَقِيَهُ عَلَى أَيْدِيهِمَا مِنْ إِذْلَالٍ وَهَوَانٍ.

### (١٣) نَصِيحَةُ الطَّبِيبِ

وما وَصَلَتْ إِلَيْهِ، حَتَّى وَجَدَتْهُ مُسْتَعْرِقًا فِي سُبَاتِ (نَوْمِ) عَمِيقٍ. فَقَالَ لَهَا الطَّبِيبُ: «أَتَأْمُرِينَ — يَا مَوْلَاتِي — أَنْ أَنْبَهُهُ؟»  
فَقَالَتْ لَهُ: «لَيْسَ لِي أَنْ أَمَرَ بِمَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ. فافْعَلْ مَا يُوجِيهِ إِلَيْكَ طِبُّكَ، وَنَفِّذْ مَا تُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ خَبْرَتُكَ وَتَجَارِبُكَ.»  
فَقَالَ الطَّبِيبُ: «أَرَى أَنْ نُوقِظَهُ عَلَى عَزْفِ الْمَوْسِيقَى، بَعْدَ أَنْ نَكْسُوهُ حُلَّةً جَدِيدَةً (ثَوْبًا لَمْ يَلْبَسْ). وَمَتَى اسْتَيْقَظَ عَلَى الْأَلْحَانِ الْمُشْحِيَةِ (الْمُطْرِبَةِ)، كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَرَاهُ؛ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يُفَارِقَهُ. وَإِنَّ فِي مُحَادَثَةِ جَلَالَتِكَ إِيَّاهُ، لَدَوَاءٌ أَنْجَعُ (أَشْفَى) لَهُ مِنْ كُلِّ دَوَاءٍ.»

### (١٤) مُنَاجَاةُ «كُرْدَلِيَا»

فَقَالَتْ «كُرْدَلِيَا»: «اصْنَعْ — لِشِفَائِهِ — مَا تَشَاءُ، وَابْذُلْ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا تَسْتَطِيعُ، بِلَا إِبْطَاءٍ.»  
وَلَمَّا عَزَفَتِ الْمَوْسِيقَى، دَبَّتِ الْيَقِظَةُ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى أَفَاقَ مِمَّا غَشِيَهُ (مِمَّا أَصَابَهُ)، وَاسْتَيْقَظَ مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ.  
وَكَانَتْ «كُرْدَلِيَا» شَدِيدَةَ اللُّوعَةِ لِمَا أَصَابَ وَالِدَهَا الْكَرِيمَ مِنْ هَوْلِ تِلْكَ الْعَاصِفَةِ الْهُوجَاءِ الَّتِي أَضْعَفَتْ جِسْمَهُ، وَأَرْهَقَتْ (أَتْعَبَتْ) أَعْصَابَهُ؛ فَوَقَفَتْ تَتَأَمَّلُ وَجْهَهُ الْحَزِينِ، وَتَتَنَاجَاهُ مُتَمَلِّمَةً، وَهِيَ تَقُولُ: «أَهْكَذَا تَجْزِيكَ بِالْعُقُوقِ وَالْغَدْرِ بِنْتَاكَ، جَزَاءَ مَا أَسْلَفْتَ إِلَيْهِمَا بِالْخَيْرِ يَدَاكَ؟ أَهْكَذَا تَبْلُغُ قَسْوَةَ الْقَلْبِ مِنْهُمَا أَنْ تُسَلِّمَكَ إِلَى الرِّيحِ الْعَاتِيَةِ، وَالرُّعُودِ الْمُدَوِّيَةِ؟»

تُمْ أَنْعَمَتِ النَّظَرَ فِي وَجْهِ الشَّيْخِ، وَقَدْ اشْتَدَّتْ لَوْعَتُهَا وَحُزْنُهَا، فَقَالَتْ: «كَيْفَ رَضَيْتَا لِهَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَهْوَالِ الْعَوَاصِفِ الْهُوجِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ غِطَاءٍ يَقِيهِ غَائِلَةَ الْبُرْدِ (شَدَّتَهُ) غَيْرُ تِلْكَ الشَّعْرَاتِ الْمُبْيِضَةِ الرَّقِيقَةِ؟ شَدَّ مَا كَابَدَتْ — يَا أَبَتِ — مِنْ الْهُوْلِ وَالضَّنَى (الْمَرَضِ). وَشَدَّ مَا أَسَأْتُمَا، أَيُّهَا الشَّقِيقَتَانِ!

أَمَا لَوْ أَنَّ لِي عَدُوًّا لَدَوْدًا أَغْرَى بِإِيذَائِي كَلْبًا ضَارِيًا حَقُودًا، فَعَضَّنِي دُونَ أَنْ أُسْلِفَ إِلَيْهِ إِسَاءَةً، تُمْ لَقَيْتِ الْكَلْبَ الشَّرْسَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ (الشَّدِيدَةِ الظُّلْمَةِ)، وَقَدْ نَبَذَ بِالْعَرَاءِ (الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ)؛ لِأَوْيْتِهِ فِي بَيْتِي وَأَذْفَاتِهِ، مُتَنَاسِيَةً كُلَّ مَا أُسْلِفَ إِلَيَّ مِنْ أَدِيَّةٍ وَإِيلَامٍ.

فَكَيْفَ بِمَنْ وَهَبَ لَكُمَا مُلْكُهُ الْعَظِيمَ، وَتَفَنَّزَ فِي بَرِّكُمَا وَلَمْ يَدَّخِرْ أَيَّ وَسِيلَةٍ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِكُمَا! أَهَكَذَا تَجْزِيَانِهِ؟

أَيْنَ الْفَاطُكُمَا الْعَذْبُ الْخَادِعَةُ، الَّتِي كُنْتُمَا تُمَلِّقَانِهِ بِهَا يَوْمَ دَعَاكُمَا لِاقْتِسَامِ مُلْكِهِ؟ لَقَدْ تَمَثَّلَتْ (تَخَيَّلَتْ) مِنْ فُنُونِ عَدْرِكُمَا صُورًا وَأَلْوَانًا لَا تَحْصَى، وَلَكِنَّ مَا تَكْشَفَ لِي مِنْ ضُرُوبِ الْقَسْوَةِ وَفُنُونِ الطَّمَعِ — مِنْكُمَا — قَدْ فَاقَ جَمِيعَ مَا تَمَثَّلْتُهُ، وَأَرْبَى (زَادَ) عَلَى كُلِّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ خَيَالِي، مِنْ أَفَانِينَ الْعُقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ (أَصْنَافِهَمَا).»

## (١٥) يَقِظَةُ الشَّيْخِ

وَأَفَاقَ الشَّيْخُ «لِير» مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِنْتُهُ الْوَفِيَّةُ «كُرْدَلِيَا» تُحِيِيهِ قَائِلَةً: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ؟»

فَبَدَّتِ الدَّهْشَةَ عَلَى وَجْهِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْ: أَفِي حُلْمٍ هُوَ أَمْ فِي يَقِظَةٍ، ثُمَّ قَالَ مَتَحِيرًا: «لِمَاذَا بَعَثْتُمُونِي مِنَ الْمَوْتِ؟ وَلِمَاذَا أَحْرَجْتُمُونِي مِنَ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ، بَعْدَ أَنْ أَرَاخَنِي الْمَوْتَ مِنْ كَوَارِثِ الزَّمَنِ وَمَصَائِبِ الْحَيَاةِ؟»

ثُمَّ نَظَرَ إِلَى «كُرْدَلِيَا» مَذْهُولًا، وَقَالَ: «وَأَنْتِ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِيُّ الْحَنُونُ، خَبَّرْتَنِي: مِنْ أَيِّ مَكَانٍ مِنْ عُلْيَا السَّمَاوَاتِ نَزَلْتِ؟ وَكَيْفَ حَلَلْتَ هَذَا الْوَادِيَّ؟ وَلَايِي غَايَةَ جِحْتِ؟»

فَقَالَتْ «كُرْدَلِيَا»: «هَلْ عَرَفْتَنِي، يَا مَوْلَايِ؟» فَأَجَابَهَا: «أَنْتِ — بِلَا شَكٍّ — أَكْرَمُ رُوحٍ مَلَائِكِيٍّ رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي. فَخَبَّرْتَنِي بِرَبِّكَ — أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّاهِرُ — فِي أَيِّ وَقْتٍ حَلَّتْ بِكَ الْوَفَاةُ؟»

(١٦) جَوَارُهُ مَعَ «كُرْدَلِيَا»

فَلَمْ تَيْبَسْ «كُرْدَلِيَا» مِنْ شِفَائِهِ، وَأَقْبَلْتَ عَلَيْهِ تُوَسِّيَةً، وَتَلَطَّفْتَهُ، وَتَطَلَّبُ إِلَيْهِ أَنْ يَهْدِيَ مَنْ سَوَّرَ نَفْسَهُ الْمَحْزُونَةَ فَقَالَ مدهوشًا: «حَسْبُكَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِيُّ، حَسْبُكَ (كَفَاكَ)! فَمَا أُدْرِي — مِمَّا يُحِيطُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ — شَيْئًا، وَمَا أَعْرِفُ أَيَّ ثَوْبٍ هَذَا الَّذِي أُرْتَدِيهِ؟ وَلَا أُدْرِي مَنْ الَّذِي أَلْبَسْتَنِيهِ؟ وَلَوْ سَأَلْتُمُونِي — فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ — فِي أَيِّ مَكَانٍ أَنَا؟ لَمَا عَرَفْتُمْ لِسُؤَالِكُمْ جَوَابًا. صَدَّقْ — أَيُّهَا الرُّوحُ الْكَرِيمُ — أَنَّنِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ قَضَيْتُ يَوْمَ امْسِ؟ وَلَا أُدْرِي أَنَاثُمْ أَنَا، أَمْ يَقْظَانُ؟ ثَمَّ لَا أُدْرِي أَحْيَا أَنَا، أَمْ مَيِّتٌ؟ وَلَوْ طَاوَعْتُ نَفْسِي، وَأَفْضَيْتُ بِمَا أَضْمَرُهُ، لِحَسْبِئُمُونِي مَخْبُولًا أَوْ مَعْتُوهَُا! إِنَّنِي لِأَتَمَثَّلُ فِي هَذَا الرُّوحِ الْمَلَائِكِيِّ صَوْرَةَ بِنْتِي الْوَفِيَّةِ «كُرْدَلِيَا». فَلَا يَسْخَرَنَّ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ أَحَدٌ: فَإِنَّنِي أَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَا أَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، كَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الرُّوحَ الْمَائِلَ أَمَامِي هُوَ «كُرْدَلِيَا» بِنْتِي.»

فَقَالَتْ «كُرْدَلِيَا» بَاكِيَةً: «مَا أَصَدَّقَ فِرَاسَتَكَ (إِصَابَةَ ظَنِّكَ)، وَأَصْحَحَ رَأْيَكَ، أَيُّهَا الْوَالِدُ الْكَرِيمُ!»

فَقَالَ لَهَا مُتَأَلِّمًا: «لِمَاذَا تَبْكِينَ، أَيُّهَا الْبَارَّةُ الْمُحْسِنَةُ؟ أَلَنْتِ تَحْزَنِينَ لِمَا أَصَابَنِي، بَعْدَ أَنْ أَسْلَفْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْإِسَاءَةِ مَا أَسْلَفْتُ؟ أَكُذِّبُكَ تَجْزِينِي إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ، عَلَى حِينٍ قَدْ جَزَيْتَنِي أُخْتَاكَ إِسَاءَةً بِإِحْسَانٍ؟ أَمَّا لَوْ أَنَّكَ أَنْكَرْتَنِي — كَمَا أَنْكَرْتَنِي أُخْتَاكَ — لَكُنْتُ فِي سَعَةِ مِنَ الْعُدْرِ»

فَقَالَتْ لَهُ: «بِرَبِّكَ لَا تَسْتَسَلِمُ لِأَحْزَانِكَ — يَا أَبَتَ — فَإِنَّ ذَلِكَ يَمَلَأُ نَفْسِي هَمًّا وَلَوْعَةً. هَلُمَّ يَا أَبَتَ، فَلَنْ تَرَى إِلَّا مَا يَسُرُّكَ.»

(١٧) اعْتِذَارُ النَّادِمِ

فَقَالَ لَهَا: «لَقَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ أَبْلَغَ إِسَاءَةٍ، وَمَا أَجْدَرَنِي أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكَ الصَّفْحَ وَالْغُفْرَانَ (الْمُسَامَحَةَ وَالْمَغْفِرَةَ). فَتَجَاوَزِي (اصْفَحِي) — أَيُّهَا الْكَرِيمَةُ — عَمَّا قَدَّمْتَ يَدَايَ.»

فَقَالَتْ لَهُ: «إِنَّنِي بِنْتُكَ الْمُؤْتَمِرَةُ بِأَمْرِكَ، الْمُلَبَّيَّةُ لِإِشَارَتِكَ، فَلَا يَحْزُنُكَ شَيْءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ. أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ إِلَّا خَادِمَةً وَفِيَّ لَكَ مَدَى الْحَيَاةِ.»

## الْمَلِكُ لَيْرٌ

وَتَمَّ أَدْرَكَ الْمَلِكُ «لَيْرٌ» — نَبِيئِشًا (بَعْدَ فَوَاتِ الْوَقْتِ) — مِقْدَارَ وَفَاءِ بِنْتِهِ «كَزْدَلِيَا»،  
وَعَرَفَ مَدَى خَطَأِهِ حِينَ صَدَّقَ مَا كَانَتْ تُزَوِّرُهُ بِنْتَاهُ، مِنْ كَاذِبِ اللَّفْظِ، وَخَاتِلِ الثَّنَاءِ  
(خَادِعِ الْمُنْحِ).

## الفصل الخامس

### (١) هزيمة «كردليا»

ما كان ليدورُ بِخَلْدِ الْمَلِكِ «لير» — حين أصغى إلى تَمْلِيْقِ بِنْتَيْهِ الْخَادِعَتَيْنِ، وَعَقَّ نَصِيحَةَ وزيره المخلص «كنت» — أَنَّ أَحْدَاثَ الدَّهْرِ وَمَصَائِبَهُ سَتَجْتَمِعُ مَتَوَالِيَةً، مَتَأَلِّبَةً عَلَيْهِ، لِلتَّنْكِيلِ بِهِ، مَسْرِفَةً فِي مَعَاقِبَتِهِ عَلَى حَطَّئِهِ؛ فَلَا تَلُوحُ بَارِقَةٌ (نُورٌ) مِنَ الْأَمَلِ، حَتَّى يَعْقِبَهَا لَيْلٌ دَاجٍ (شَدِيدُ السَّوَادِ)، مَنِ الْيَأْسِ الْمُمِيتِ!

لَقَدْ التَّقَى الْجَيْشَانِ، وَكَانَ الْأَمَلُ مَعْقُودًا عَلَى نُصْرَةِ «كُردليَا»، وَهَزِيمَةَ جَيْشِ أُخْتَيْهَا الْغَادِرَتَيْنِ، وَأَنْدِحَارِهِ (انْكَسَارِهِ) وَلَكِنَّ سُوءَ حَظِّ الشَّيْخِ «لير» قَدْ خَيَّبَ هَذَا الْأَمَلَ الْبَاسِمَ الْمُشْرِقَ؛ فَانْهَزَمَ جَيْشُ «كُردليَا» أَشْنَعَ هَزِيمَةٍ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِ جَيْشُ «جُنْريل» وَ«رِيْجَان»، وَانْتَهَتْ الْمَعْرَكَةُ بِأَسْرِ «كُردليَا» وَأَبْيَاهَا، وَإِدَاعِهِمَا السَّجْنَ بَعْدَ أَنْ غَلِبَ جَيْشُهُمَا عَلَى أَمْرِهِ.

### (٢) الْخُبَيَاءُ الثَّلَاثَةُ

تَمَّ الْفَوْزُ لِلْخُبَيَاءِ الثَّلَاثَةِ، أَعْنِي: «جُنْريل» وَ«رِيْجَان» وَمَسْتَشَارَهُمَا «إِدْمُنْد»، الَّذِي قَادَ الْجَيْشَ، وَأَحْرَزَ النِّصْرَةَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ الْفَوْزُ شَرًّا — عَلَى أَوْلَئِكَ الْغَادِرِينَ — مِنْ كُلِّ هَزِيمَةٍ. وَسَتَرَى — أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ — فِيمَا بَقِيَ مِنْ حَوَادِثِ الْقِصَّةِ الْمُخْزِنَةِ وَأَنْبَاءِهَا الرَّاعِبَةِ (الْمُخِيفَةِ)، مِصْدَاقَ مَا حَدَّثْتُكَ بِهِ (بُرْهَانَ صِدْقِهِ)!

(٣) بين «الْبَانِي» و«إِدْمُنْد»

لقد حَسِبَ «إِدْمُنْدُ» — حِينَ تَمَّ لَهُ الْفَوْزُ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْحَاسِمَةِ (الْقَاطِعَةِ) — أَنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ أَرْبَهُ (مَطْمَعُهُ)، وَظَفَرَ بِأُمْنِيَّتِهِ فِي ارْتِقَاءِ عَرْشِ الْمَمْلَكَةِ، بَعْدَ أَنْ خَلَا الْجُؤُ مِنْ كُلِّ مُنَافِسٍ لَهُ فِي الْمَلِكِ، وَلَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ أَحَدٌ يَخْشَى بِأَسْهُ غَيْرِ الْأَمِيرِ «الْبَانِي» زَوْجُ «جُنْرِيل». وكان ذَلِكَ الْأَمِيرُ طَيِّبَ الْقَلْبِ؛ فَلَمْ يَرْضَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا اقْتَرَفَهُ (أَرْتَكَبَهُ) الْخُبَّاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ (الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ).

وَأَصْرَ الْأَمِيرُ «الْبَانِي» عَلَى إِطْلَاقِ سَرَّاحِ «كُزْدَلِيَا» وَأَبِيهَا مِنْ إِسْرَاهِمَا، كَمَا أَصْرَ «إِدْمُنْدُ» عَلَى حَبْسِهِمَا. وَدَارَتْ مُنَاقَشَةٌ عَنيفَةٌ بَيْنَهُمَا، وَانْتَصَرَتْ الْأَخْتَانِ لِْمُسْتَشَارِهِمَا الْخَبِيثِ. وَغَضِبَ الْأَمِيرُ «الْبَانِي»؛ فَدَعَاهُ لِلْمُبَارَزَةِ (الْمُضَارَبَةِ بِالسَّيْفِ).

(٤) بَيْنَ «إِدْمُنْد» و«إِنْدَجَارُ»

وَجَاءَ — فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ — «إِنْدَجَارُ»: ابْنُ الْأَمِيرِ «جَلْسُتَر»؛ فَدَعَا أَخَاهُ «إِدْمُنْدُ» إِلَى نِزَالِهِ (مُبَارَزَتِهِ) قَائِلًا: «هَلُمَّ أَيُّهَا الْقَائِدُ الْعَظِيمُ، فَاْمْتَشِقْ حُسَامَكَ (أَشْهَرِ سَيْفَكَ)، وَاكْتُبْ آخَرَ صَفْحَةٍ فِي تَارِيخِ حَيَاتِكَ الْمَلُوءَةِ بِالشُّرُورِ وَالْإِرْجَاسِ (الْخَطَايَا) وَالْدَنَايَا. هَلُمَّ فَانْتَقِمْ لِشَرَفِكَ مِمَّنْ يَرْمِيكَ بِكُلِّ مُخْزِيَةٍ، وَيَتَّهَمُكَ بِكُلِّ بَقِيصَةٍ. هَلُمَّ إِلَيَّ: فَرَوْ (اسْقِ) رُمْحَكَ مِنْ دَمِي إِنْ اسْتَطَعْتَ، لَعَلَّكَ تَغْسِلُ مَا لَحِقَكَ مِنَ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَوَّثَتْ بِهَا شَرَفَكَ الرَّفِيعَ. فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ ذَلِكَ، فَلَنْ يُعْجِزَنِي قَتْلُكَ!»

فَصَاحَ فِيهِ «إِدْمُنْدُ»: «إِنَّمَا جَاءَ بِكَ إِلَيَّ حِينُكَ (انْقِضَاءَ أَجَلِكَ). وَلَئِنْ جَهَلْتُ مَنْ أَنْتَ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ سَاقَتَهُ حِمَاقَتُهُ إِلَى الرَّدَى، وَأَسْلَمَهُ أَجَلُهُ إِلَى الْهَلَاكِ. وَإِنَّ سَيْفِي هَذَا لَكَفِيلٌ بِتَأْدِيبِ أَمْثَالِكَ، وَالتَّنْكِيلِ بِكَ، وَجَعْلِكَ عِبْرَةً لِكُلِّ مَنْ يَعْتَبِرُ.»  
وَمَا أَتَمَّ وَعِيدُهُ حَتَّى بَدَأَ هُجُومَهُ عَلَى مُنَازِلِهِ (خَصْمِهِ)، وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمَا، وَأَشْتَدَّ صِرَاعُهُمَا، وَسُرْعَانَ مَا عَاجَلَهُ «إِنْدَجَارُ» بِطَعْنَةٍ قَاتِلَةٍ؛ فَهَوَى «إِدْمُنْدُ» إِلَى الْأَرْضِ مُجَدِّلاً (صَرِيحًا)، يَتَعَثَّرُ (يَتَخَبِّطُ) فِي دَمِهِ. وَأَسْتَوَى الدَّهْشُ عَلَى الْحَاضِرِينَ، وَعَقَدَ الذُّهُولُ أَلْسِنَتَهُمْ؛ فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَفْعَلُونَ.

## (٥) مَصَارِعُ الْخُبَيَّاءِ الثَّلَاثَةِ

وَلَمَّا سَقَطَ «إِدْمُنْدُ»، صَاحَتْ «رِيحَانُ» مُفْرَعَةً، تَتَلَوَّى مِنْ فَرَطِ الْأَلَمِ، ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهَا؛ فَوَقَعَتْ — مِنْ قَوْرِهَا — جُتَّةً هَامِدَةً.

أَتَدْرِي — أَيُّهَا الْقَارِيُّ الْعَزِيزُ — بِأَيِّ شَيْءٍ قُتِلَتْ «رِيحَانُ»؟ بِالسَّمِّ قَتَلْتَهَا «جُنْرِيْلُ»؛ لَتَسْتَأْتِرُ بِالْمُلْكِ وَحَدَهَا! وَلَكِنَّ أَمَلَهَا قَدْ خَابَ، حِينَ رَأَتْ قُوَّةَ «إِنْجَارَ»، وَانْتِصَارَهُ عَلَى مُسْتَشَارِهَا «إِدْمُنْدُ»، الَّذِي نَاطَطَ (عَلَّقَتْ) بِهِ كُلَّ آمَالِهَا فِي التَّفَرُّدِ بِالْمُلْكِ، وَالِاسْتِثْنَاءِ بِالسُّلْطَانِ؛ فَعَاجَلَتْ نَفْسَهَا بِطَعْنَةٍ قَاتِلَةٍ، أَوْدَتْ بِهَا (أَهْلَكْتَهَا)، وَمَضَتْ بِرُوحِهَا إِلَى الْجَجِيمِ.

وَرَأَى «إِدْمُنْدُ» أَنْ كُلَّ مَا بَنَاهُ — بِالْغَدْرِ وَالْعُقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى أَقْرَبِ النَّاسِ وَأَبْرِهِمْ بِهِ — قَدْ انْهَارَ (سَقَطَ) أَمَامَهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَصَاحَ مُسْتَعْظِماً قَاتِلَهُ: «حَبْرَنِي بَرْبُكَ: مَنْ أَنْتَ؛ لِأَعْرِفَ اسْمَ مَنْ كُتِبَ عَلَى يَدَيْهِ مَصْرَعِي؟»

فَاجَابَهُ «إِنْجَارُ»: «أَنَا ابْنُ مَنْ كَفَأَتْ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ، وَبَرَّهَ بِكَ، وَتَرَبَّيْتَهُ إِلَيْكَ، أَقْبَحَ مُكَافَأَةً. أَنَا ابْنُ الْأَمِيرِ «جَلْسْتَر»، الَّذِي تَبَنَّاكَ؛ فَأَغْرَيْتَ بِهِ أَعْدَاءَهُ، وَمَكَّنْتَ لَهُمْ مِنَ التَّنْكِيلِ بِهِ؛ حَتَّى حَرَمُوهُ نُورَ عَيْنَيْهِ. وَقَدْ مَاتَ — مُنْذُ دَقَائِقَ — مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى مِنَ الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ.»

## (٦) تَوْبَةُ الْهَالِكِ

فَصَاحَ «إِدْمُنْدُ» مُتَفَجِّعًا: «مَا أَصْدَقَ مَا فَاهَتْ بِهِ شَفَتَاكَ! لَقَدْ حَقَّ عَلَيَّ الشَّقَاءُ، وَلَقِيتُ مَا أَنَا أَهْلٌ لَهُ مِنَ التَّنْكِيلِ وَالْجَزَاءِ، وَحَاقَتْ عَلَيَّ اللَّعْنَةُ إِلَى الْأَبَدِ. وَلَكِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ ضَارِعًا أَنْ تُسْرِعَ بِبِنْدَةِ «لِير» وَبِنْتِهِ «كُرْدَلِيَا»؛ فَقَدْ أَصْدَرْتُ أَمْرِي بِقَتْلِهِمَا فِي سَجْنِهِمَا خُلْسَةً (خَفِيَةً)، قَبْلَ أَنْ أَشْتَبِكَ مَعَكَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْقَاضِيَةِ: لَعَلِّي أَكْفُرُ — بِإِنْقَاذِهِمَا — عَنْ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِمَّا اقْتَرَفْتُ مِنَ الْخَطَايَا وَالْآثَامِ الْمُوبِقَةِ (الْمُهْلِكَةِ)! هَلُمَّ فَأَنْقِذْهُمَا قَبْلَ أَنْ يَحْلُ بِهُمَا الْهَالِكُ.»

ثُمَّ أَعْمِيَ عَلَيْهِ، وَأَسْلَمَتْهُ جِرَاحُهُ إِلَى الرَّدَى (الموت)؛ فَفَضَى مُشِيْعًا (مُودِعًا) بِاللَّعْنَاتِ، كَمَا شُيِّعَتْ «جُنْرِيْلُ» وَ«رِيحَانُ».



(٧) مَصْرَعُ «كُرْدَلِيَا»

وَلَقَدْ بَدَلَ الْحَاضِرُونَ كُلَّ مَا فِي مَقْدُورِهِمْ، فَأَسْرَعُوا لِإِنْقَاذِ الْأَسِيرِينَ. وَلَكِنَّ سُرْعَتَهُمْ لَمْ تَغْنِ شَيْئًا فِي إِنْقَاذِ «كُرْدَلِيَا» الطَّاهِرَةِ الْقَلْبِ، الرَّكِيَّةِ النَّفْسِ؛ فَقَدْ نَفَذَ سَهْمُ الْقَضَاءِ — وَلَا مَرَدَّ لَهُ — وَلَقِيَتْ حَتْفَهَا (هَلَاكَهَا) مَضْلُوبَةً فِي السَّجْنِ، قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَهَا أَيْدِي الرُّحَمَاءِ الْمُنْقِذِينَ.



وَاسْتَوَى الدُّعْرُ وَالْخَبَالُ عَلَى الشَّيْخِ «لِير»، حِينَ رَأَى مَا حَلَّ بِابْنَتِهِ الْوَفِيَّةِ، الَّتِي لَقِيَتْ حَتْفَهَا فِي سَبِيلِ نُصْرَتِهِ؛ فَحَمَلَ جُنَّتَهَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ، وَهُوَ يُصِيحُ مُعَوِّثًا، نَادِبًا: «إِلَيَّ، أَيُّهَا الْبَاكُونَ! إِلَيَّ، أَيُّهَا الْمُعُولُونَ (الصَّائِحُونَ بِالْبُكَاءِ)! إِلَيَّ، أَيُّهَا الْحِجَارَةُ وَالصُّخُورُ الَّتِي

سُمِّيَتْ أَناسِيَّ (بَنِي آدَمَ)! إِلَيَّ، فامزجوا بدموعي دموعكم، وصيخوا معي كما أضح، وأعولوا نادبين حتى تنفطر (تنشق) السماء علينا حزنا وألما! لقد ماتت! ألا تصدقون؟ وي! هلكت! أمكديي أنتم؟ أنا لا أجهل الفرق بين الميِّت والحي! إنها لا تنبس ببنت شفة (لا تلفظ بحرف)! لقد همدت، فما تحس شيئا! هاتوا مرأة فأذنوها من فمها؛ فإن طبعت عليها نفسا من أنفاسها، فلا تثقوا بي! أه لو بقيت سالمة إلى جانبي! إذن عفرت كل ما حل بي من أحداثٍ وخطوب! إذن أنستني السعادة — بحياتها — كل ما عمري (ما شملني) من أسواء (مصائب) وأحزان!

### (٨) لَوْعَةُ النَّاكِلِ

وَحَاوَلَ خُلُصَاوُهُ وَأَصْفِيَاوُهُ (أَصْدِقَاوُهُ الْمُخْلِصُونَ): «كُنْتُ» و«إِدْجَار» و«أَلْبَانِي» جَمِيعًا أَنْ يَهْوَنُوا عَلَيْهِ مِنْ مُصَابِهِ وَفَجِيعَتِهِ؛ فَصِيحَ فِيهِمْ مُعْوَلًا، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الذُّهُولُ: «لَقَدْ مَاتَتْ، وَعَجَزْتُمْ عَنْ إِنْقَاذِهَا جَمِيعًا! فَمَا فَائِدَةُ الْحَيَاةِ بَعْدَهَا؟ وَاحْسَرْتَا عَلَى شَبَابِهَا النَّاضِرِ! مَا كَانَ أَعْدَبَ صَوْتِهَا الرَّقِيقِ! وَمَا كَانَ أَطْيَبَ قَلْبَهَا الشَّفِيقِ! أَرَأَيْتُمْ أَزْكَى (أَطْهَرَ) مِنْهَا نَفْسًا، وَأَكْرَمَ خُلُقًا؟ فَكَيْفَ امْتَدَّتْ إِلَى عُنُقِكَ يَدُ الْجَانِي الْأَيْمِ؛ فَأَقْدَمَ عَلَى صَلْبِكَ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُ — فِي شَبَابِكَ — رَحْمَةً؟ لَقَدْ صَرَعْتُ قَاتِلِكَ بِالسَّيْفِ، وَمَا تَشَفَّيْتُ مِنْ عَيْظِي، وَلَا بَرَدْتُ بِذَلِكَ غَلِيْلِي (لَمْ أَشْفِ حَرَارَةَ حُزْنِي وَحَقْدِي)! يَا لَهُمْ مِنْ أَثْمَةِ طُغَاةٍ (مُجْرِمِينَ مُعْتَدِينَ)! لَقَدْ حَنَقُوا «الْبُهْلُولُ» فِي السَّجْنِ، وَأَهْلَكُوهُ جَزَاءً وَفَاءَهُ لِي! الْوَيْلُ لِلْجَانِيْنَ! وَالْوَيْلُ لِلْسَّفَاحِيْنَ (الَّذِينَ أَسْأَلُوا الدَّمَاءَ)! لَقَدْ تَرَكَوا الْجُرْدَانَ (الْفَيْرَانَ) وَغَيْرَهَا مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ، دُونَ أَنْ يَنْتَرِعُوا أَرْوَاحَهَا مِنْهَا، وَلَكِنَّهُمْ ضَنُّوا (بَخَلُوا) عَلَى «كُرْدَلِيَا» الْوَفِيَّةِ الْمُخْلِصَةِ بِالْحَيَاةِ الَّتِي تَنَعَّمُ بِهَا الْحَيْلُ وَالْكِلَابُ!»

### (٩) خَاتِمَةُ «لِير»

وهكذا استسلم الملك «لير» الحزين الناكِلُ (الذي فقد ولده) لآلامه. وما زال يهذي حتى أسلمه هديانه إلى الجنون، وأسودت الدنيا في عينيه، وغمرت الأحزان قلبه؛ فأظلم ثم أغمي عليه.

الْمَلِكِ لِيَزُ

وَأَفَاقَ لِحِظَةٍ قَصِيرَةٍ، فَالْتَفَتَ إِلَى وَزِيرِهِ الْمُخْلِصِ قَائِلًا: «كَنتَ: لَقَدْ عَرَفْتُكَ! «كُرْدِيَا»:  
لَقَدْ فَقدْتُكَ إِلَى الأَبَدِ!»  
ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ثَانِيَةً، وَأَسْلَمَتْهُ أَحْزَانُهُ إِلَى الرَّدى ... فَمَاتَ!